حياة القلوب

تفسير كلام علام الغيوب

الجزء الثَّانِي عَشَرَ

تأليف

أبي عمرو سعيد بن مصطفى دياب

مُقَدِّمَة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[2]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[3]

وبعد فهذا هو الجزء الثاني عشر من تفسير: (حَيَاةُ الْقُلُوبِ تَفْسِيرُ كَلَامِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ)، أسأل الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه، وأن يتقبله بفضله ومنه وكرمه.

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

تفسير سورة هود

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾. سورة هود: الآية/ ١

سورة هود مكية إِلَّا قَوْله تَعَالَى: ﴿وأقم الصَّلَاة طرفِي النَّهَار وَزلفًا من اللَّيْل﴾ إِلَى آخر الْآيَة؛ فَإِنَّهَا مَدَنِيَّة، وآياتها ثلاث وعشرون ومائة آية، وسميت بذلك لذكر هود عليه السلام فيها وتكرر اسمه فيها خمس مرات؛ ولأن ما حكي عنه فيها أطول مما حكي عنه في غيرها، ولأن عادا وصفوا فيها بأنهم قوم هود في قوله: ﴿أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.[١]

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ».[٢]

ورواه الطبراني في الكبير عن سهل بن سعد، وعقبة بن عامر، ورواه مختصرًا هو أبو يعلى عن أبي جحيفة.

وقيل: سبب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ»؛ ما ذكر فيها من القيامة والبعث، والحساب، والجنة والنار.

مناسبة السورة لما قبلها:

بين سورة هود وسورة يونس التي قبلها مناسبة ظاهرة، واتصال واضح فكلاهما مكية تعالج قضايا العقيدة، فمطلع هذه شديد الارتباط بتلك فكلا السورتين تتحدث عن حكمة كتاب الله تعالى، وإحكام آياته، وكل واحدة تتكلم في ثناياها عن مصارع الغابرين، وهلاك المكذبين، وختمت كل واحدة منهما بالأمر باتباع الوحي والتحذير من الشرك.

قال الآلوسي رحمه الله: ووجه اتصالها بسورة يونس، أنه ذكر في سورة يونس قصة نوح عليه السلام مختصرة جدا ومجملة، فشرحت في هذه السورة وبسطت فيها ما لم تبسط في غيرها من السور.. ثم إن مطلعها شديد الارتباط بمطلع تلك، فإن قوله تعالى هنا: ﴿الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ﴾، نظير قوله سبحانه

---

١ – سورة هود: الآية/ ٦٠

٢ – رواه الترمذي–أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بابٌ: وَمِن سورةِ الواقعةِ، حديث رقم: ٣٢٩٧، بسند صحيح

هناك: ﴿الر. تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ...﴾، بل بين مطلع هذه وختام تلك شدة ارتباط أيضًا، حيث ختمت بنفي الشرك، واتباع الوحي، وافتتحت هذه ببيان الوحي والتحذير من الشرك.

بين يدي السورة:

افتتح الله تعالى هذه السورة العظيمة بثلاثة من الحروف المقطعة، وأعقبها بوصف آيات ذلك الكتاب بأنها أحكمت فلم يتطرق إليها كلام البشر من الخلل، والضعف والنقص، بل هي في أعلى درجات الكمال، ثم فصلت ببيان الحلال والحرام، والأمر والنهي، من لدن أحكم الحاكمين الخبير بحال عباده وما يصلحهم من التشريعات والأحكام.

ثم أعقب ذلك بالأمر بعبادته تعالى وحده، والنهي عن عبادة غيره فإنه المستحق للعبادة دون سواه.

ثم بيان جزاء من استجاب له تعالى وأخلص له العبادة وما أعده الله تعالى له من النعيم المقيم، والثواب الجزيل.

ثم ذكر الله تعالى شيئًا من دلائل وحدانيته تعالى وقدرته الباهرة، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ....﴾ [الآية: ٧].

ثم تتطرق الآيات لما يعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الضيق بسبب تكذيب قومه له، وافترائهم عليه، وتسليته عن كلامهم بأنه نذير لهم، والذي يتولى حسابهم هو الله تعالى.

ثم يقرع الله تعالى أسماع المشركين المكذبين بذلك التحدي الذي ألسنتهم وحير عقولهم، أن يأتوا بعشر سور مثله وإن كن مفتريات؛ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ [الآية: ١٣].

ثم بيان حال أولئك المكذبين الذين يصدون عن سبيل الله وما هم عليه من الضلال، وما لهم عند الله تعالى من الخزي والخذلان؛ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية: ٢١]، وبيان حال المؤمنين المخبتين وما لهم من الجزاء العظيم عند الله تعالى؛ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَأَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [الآية: ٢٣]، ثم المقارنة بين الفريقين، وضرب

المثل للطائفتين، ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: ٢٤]، فمثل الضلال المشركين كالأعمى الذي لا يبصر، الأصم الذي لا يسمع، وأنى لمثله الهدى، وقد انعدمت أسباب الهداية تعطلت حواسه عن الإدراك، وأما أهل الإيمان فمثل كمثل البصير الذي يبصر فيعلم أين يضع قدمه وأي سبيل يسلك، السميع الذي يجيب إذا دعي، ويتنبه إذا نبه، ويفطن إذ حذر، وبينهما من البون الشاسع أبعد مما بين الثرى والثريا، فأيهما أولى بالهداية، وأقرب إلى النجاة!

فلما بيَّن الله تعالى حال المكذبين الكفار، وحال المتقين الأبرار، وما لهؤلاء من العذاب والنكال، وما لهؤلاء من النعيم والرضون، شرع في ذكر الأمم الغابرة وما حل بهم من الهلاك والدمار، تسلية لرسول الله صلى الله عله وسلم، وتثبيتًا لقلبه، وموعظة وذكرى للمؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

فبدأ بقوم نوح عليه السلام؛ لتقدمهم في الزمن على من ذكر بعدهم؛ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [هود: ٢٥]، وكيف قابلوا دعوته بالإعراض والتكذيب؛ ﴿فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَراكَ إِلاّ بَشَراً مِثْلَنا وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلاّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ وَما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]، حتى آل أمرهم إلى الهلاك غرقًا بالطوفان.

ثم ذكر الله تعالى بعدهم حال عاد؛ فقال: ﴿وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠]، فجحدوا بآيات ربهم وعصوا رسولهم، فأهلكهم الله تعالى جزاء كفرهم وأعراضهم، ثم ذكر الله تعالى بعدهم ثمود وما حل على من النقمة والعذاب، ثم ذكر الله تعالى إبراهيم عليه السلام حين أتته الملائكة بالبشرى بهلاك قوم لوط، والبشارة بإسحاق.

ثم ما حل يقوم لوط من العذاب الأليم، ثم ذكر حال أهل مدين، وما حل بهم من العذاب، لكفرهم بالله تعالى وتكذيبهم لرسول الله شعيب عليه السلام.

ثم ختم الله تعالى تلك القرون المتعاقبة، والأزمان المتطاولة بقصة موسى مع فرعون، بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَسُلْطانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود:

٩٦، ٩٧]، وطوى الله تعالى ما كان بينهما من مناظرات، وما كان من فرعون من طغيان وجبروت، كأن تلك الأعوام المتطاولة لمحة بصر، وكأنه لم يهنأ يومًا بعيش.

ثم قسم الله تعالى الناس باعتبار الإيمان والكفر إلى فريقين لا ثالث لهما، ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَاّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، وما لكل فريق منها عند الله تعالى من الجزاء.

ثم بين الله تعالى أن الخلق جميعًا معروضون على الله تعالى مجزيون جميعًا بأعمالهم، لا يخفى على الله تعالى منهم شيء؛ ﴿وَإِنَّ كُلاًّ لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمالَهُمْ إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[١]

ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة على دين الله، ونهاهم عن مجاوزة الحد فيما أمروا به أو نهوا عنه؛ ﴿فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، ثم ختم الله تعالى السورة برد العجز على الصدر فقال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، فأخبر عن كمال علمه تعالى، وأنه لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض، ليناسب آخر السورة أولها لتتجلى حكمته من إنزال الكتب وبعث الرسل وتشريع الأحكام، ويظهر للناس علمه الذي أحاط بكل شيء.

﴿الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

﴿الر﴾ تقدم الكلام على تفسير الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

﴿كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ .

يخبر الله تعالى عن القرآن المجيد بأنه كتاب أحكمت آياته؛ أي: بلغت من جودة السبك، وحسن النظم، والإتقان مبلغًا فاق كل وصف، والإحكام: اتقان الصنع، مشتق من الحكمة بكسر الحاء وسكون الكاف. وهي إتقان الأشياء بحيث تكون سالمة من الأخلال التي تعرض لنوعها.

وبهذا الاعتبار أعني جودة السبك وحسن النظم، فالقرآن كله محكم؛ لأنه في أعلى درجات الفصاحة، وأرفع مقامات البلاغة.

---

١ - سورة هود: الآية/ ١١١

ثم فصلت آياته؛ أي: بيت أتم بيان.

وقيل: فصلت آياته: أي: جعلت فصولًا؛ حلالًا وحرامًا، وأمرًا ونهيًا، وترغيبًا وترهيبًا، ومواعظ وأمثالًا، لكل معنى منها فصل غير مختلط بغيره، حتى يتمكن من تدبرها كلها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أُحْكِمَتْ آياتُهُ﴾؛ أي: لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع بها.

وقال الحسن: ﴿أُحْكِمَتْ آياتُهُ﴾ بالأمر والنهي، و ﴿فُصِّلَتْ﴾؛ بالثواب والعقاب .

وقال قتادة: ﴿أُحْكِمَتْ آياتُهُ﴾ من الباطل، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بالحلال والحرام .

وقال مجاهد: ﴿أُحْكِمَتْ آياتُهُ﴾ بالجملة، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾: بينت بذكر آية آية.

وقيل: ﴿فُصِّلَتْ﴾؛ أي: بين فيها ما بالناس إليه حاجة في أمور دينهم .

وقيل: ﴿فُصِّلَتْ﴾: أنزلت متفرقة شيئا بعد شيء

وقال ابن كثير: أحكمت ألفاظه وفصلت معانيه أو بالعكس على الخلاف، فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يجارى ولا يدانى، فقد أخبر عن مغيبات ماضية وآتية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء، وأمر بكل خير، ونهى عن كل شر.

﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

أي: من عند رب حكيم محكم للأمور، يضع كل شيء موضعه، ﴿خَبِيرٍ﴾؛ أي: عليم بحقيقة الأشياء، بصير بدقائقها، لا يخفى عليه منها شيء.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَاّ تَعْبُدُوا إِلَاّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾. سورة هود: الآية/ ٢، ٣

أي: كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا إلا الله.

وقال الكسائي والفراء: كتاب أحكمت آياته ثم فصلت بألا تعبدوا إلا الله، فتكون أنْ تفسيرية.

﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

في الكلام إيجاز بالحذف تقديره: قلْ يا محمدُ للناسِ: إنني لكم مِن عندِ اللهِ ﴿نَذِيرٌ﴾ أُنذِرُكم عقابَه على عبادةِ الأوثانِ، وعلى معصية الملك الديان، ﴿وَبَشِيرٌ﴾ أُبَشِّرُكم بالثوابِ الجزيل على الإيمان به تعالى وطاعتِه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «صَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: يَا صَبَاحَاهْ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، قَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾».[1]

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾.

أي: كتاب أحكمت آياته ثم فصلت بأن لا تَعْبدوا إلا الله، وبأن استغْفِروا ربَّكم، مما سلف من الذنوب والمعاصي، ثم توبوا إلى ربكم كلما أسأتم وعصيتم، وأخلصوا التوبة واستقيموا عليها.

﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾.

أصل التمتع: إطالة الشيء والمد فيه، والمراد هنا الانتفاع بالهبات الإلهية في الدنيا، أي: يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية، من عيشة واسعة، ونعمة متتابعة، قال ابن عباس: يتفضل عليكم بالرزق والسَّعَة،

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بابٌ قَوْلُهُ: ﴿إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، حديث رقم: ٤٨٠١

﴿إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾؛ أي: إلى أن يحين أجلكم ويتوفاكم الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً﴾.[1]

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾.

أي: ويعطي الله تعالى كل ذي عمل صالح أجره وثوابه.

قال ابن عباس، وابن مسعود: يؤت كل من فضلت حسناته على سيئاته فضله، يعني الجنة، وهي فضل الله.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾.

أي: وإن تتولوا، حذفت إحدى التائين تخفيفًا؛ أي: وإن تعرضوا عن توحيد الله تعالى وعبادته، وتصروا على الشرك، ﴿فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾؛ أي: عذاب يوم عظيم، وهو يوم القيامة، لما فيه من الأهوال الجسام.

١ - سورة النحل: الآية/ ٩٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤) أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾. سورة هود: الآية/ ٤، ٥

المرجع: مصدر ميمي بمعنى الرجوع، وهم خبر من لوازمه الحساب والجزاء؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ﴾. [الغاشية: ٢٥، ٢٦]، وفيه تهديد ووعيد لمن عبد غير الله تعالى.

﴿وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أي: وهو تعالى على إحيائكم بعدَ مماتِكم، وعقابِكم على إشْراكِكم به قدير، فالله تعالى لا يعجزه شيءٌ أراده، وإنما اقال ذلك لما استبعد المشركون البعث والنشور، فقد كانوا يستبعدون ذلك غاية البعد وينكرونه أشد الإنكار؛ قال الله تعالى: ﴿وَقالُوا إِنْ هَذَا إِلَاّ سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥) أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآباؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾.[1]

﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾.

يقال: ثَنَيْتُ الشيء ثنياً: إذا عطفته وطويته.

اختلف العلماء في سبب نزول قوله: ﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾، على قولين:

الأول: أنها نزلت في المؤمنين روى البخاري عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ: «أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَرَأَ: (أَلَا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ) قُلْتُ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، مَا تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ؟ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يُجَامِعُ امْرَأَتَهُ فَيَسْتَحِي، أَوْ يَتَخَلَّى فَيَسْتَحِي، فَنَزَلَتْ: ﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾».[2]

وقيل: نزلت في الكفار والمنافقين فعن عن حُصَينٍ، قال: سمِعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ شدَّادٍ يقولُ في قولِه: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾. قال: كان أحدُهم إذا مَرَّ بالنبي الله ثَنَى صدرَه، وتَغَشَّى بثوبِه، كي لا يَراه النبي صلى الله عليه وسلم.[3]

١ - سورة الصافات: الآيات/ ١٥- ١٧

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بابٌ وَقَالَ أَبُو مَيْسَرَةَ: الْأَوَّاهُ الرَّحِيمُ بِالْحَبَشَةِ، حديث رقم: ٤٦٨٢

٣ - رواه الطبري في التفسير (١٢/ ٣١٧)، وابن أبي حاتم- حديث رقم: ١٠٦٥٩

وقيل: كانوا يَفْعَلون ذلك جهلًا منهم باللهِ، وظَنًّا أن اللهَ يَخْفى عليه ما تُضْمِرُه صدورُهم إذا فَعلَوا ذلك.

﴿أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ﴾.

أي: إن الله تعالى لا يخفى عليه شيء من أحوال عباده مهما أسروا ومهما بالغوا في إخفاء ما يضمرونه؛ فإن الله تعالى لا تخفى عليه خافية.

قال قتادةَ: كانوا يَحْنون صدورهم لكيلا يَسْمعوا كتابَ اللهِ، قال تعالى: ﴿أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ﴾. وذلك أخفَى ما يكونُ ابنُ آدمَ، إذا حَنَى صدرَه، واسْتَغْشَى بثوبِه، وأَضْمَرَ هَمَّه في نفسِه، فإن اللَّهَ لا يَخْفى ذلك عليه.[1]

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾.

أي: عليم بمكنونات النفوس، ومضمرات الضمائر، السر عنده علانية، لا يخفى عليه منهم شيء.

١ - رواه ابن جرير في التفسير (١٢/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم- حديث رقم: ١٠٦٦٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَاّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾. سورة هود: الآية/ ٦

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى في الآية السابقة أنه تعالى عليم بأحوال أولئك الذين يثنون صدورهم، ويستغشون ثيابهم، بين سبحانه هنا أن علمه محيط بسائر خلقه، فهو تعالى لا يخفى عليه شيء من خلقه، وهو تعالى الذي يرزق الخلق جميعًا، لا يعزب عن علمه شيء، ويعلم مستقر كل دابة، ومستودعها.

﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَاّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُها﴾.

الدب والدبيب: الانتقال الخفيف البطيء، والدابة: اسم لكل ما يدب على الأرض سواء كان زحفًا أو على رجلين أو أكثر؛ كما قال تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [النور: ٤٥]، يخبر الله تعالى أنه متكفل بأرزاق الخلق جميعًا من كل ما يدب على الأرض صغيرًا كان أو كبيرًا.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها﴾.

والله تعالى يعلم أين منتهى سيرها في الأرض، وأين تأوي من وكرها، وقيل: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها﴾؛ أي: الموضع الذي تأوي إليه من الأرض، ﴿وَمُسْتَوْدَعَها﴾؛ أي: وموضعها الذي تموت فيه، أو تدفن فيه فتستودع فيه إليه إلى حين تبعث .

وقال مجاهد: ﴿مُسْتَقَرَّها﴾، في الأرحام، ﴿وَمُسْتَوْدَعَها﴾ في الأصلاب.

وقال ابنُ عباسٍ: ﴿مُسْتَقَرَّها﴾، حيثُ تَأْوِي، ﴿وَمُسْتَوْدَعَها﴾، حيثُ تموتُ.

﴿كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾.

أي: عددُ تلك الدواب، ومقدار أرزاقِها، وقدرُ قرارِها في مستقرِّها، ومدةُ لُبْثِها في مستودعِها، كل ذلك مُثْبَتٌ مكتوبٌ في كتابٍ عندَ اللَّهِ تعالى وهو اللوح المحفوظ .

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. سورة هود: الآية/ ٧

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، مجمل أتى تفصيله في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبارَكَ فِيها وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ (١١) فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَحِفْظاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢]، وتقدم الكلام على تفسيره في سورة الأعراف .

﴿وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾.

يخبر الله تعالى أن خلق العرش والماء كان قبل خلق السماوات والأرض، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ: ﴿وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾، قال: كان عرشُه على الماءِ قبلَ أن يخلُقَ شيئًا .

وقد بين رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك في جملة أحاديث؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَالَ اللهُ عز وجل: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ، اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ».[1]

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: «إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ. قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ قَالُوا: قَبِلْنَا، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ، قَالَ: كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، باب قوله تعالى: ﴿وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾، حديث رقم: ٤٦٨٤، ومسلم-كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخَلَفِ، حديث رقم: ٩٩٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كُلَّ شَيْءٍ ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ أَدْرِكْ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ، فَانْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا، وَايْمُ اللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ».[1]

قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

يخبر الله تعالى أنه هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه قبل خلقهن على الماء؛ ليستدل العباد بتلك الآيات البينات على وحدانيته، وعلى قدرته الباهرة، فيطيعوا أمره، ويحذروا أسباب سخطه، ويذكروه حق ذكره، ويشكروه حق شكره.

كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.[2]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾، أيكم أعمل بالطاعة .

وقال مقاتل: أيكم أتقى لله .

وقال الحسن: ايكم أزهد في الدنيا وأترك لها.

وقَالَ الفضيل بن عِيَاض فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾، قَالَ أخلصه وأصوبه فَقيل لَهُ: يَا أَبَا عَليّ مَا أخلصه وأصوبه؟ فَقَالَ: إِن الْعَمَل إِذا كَانَ خَالِصًا وَلم يكن صَوَابًا لم يقبل، وَإِذا كَانَ صَوَابًا وَلم يكن خَالِصًا لم يقبل حَتَّى يكون خَالِصًا صَوَابًا، والخالص أَن يكون لله وَالصَّوَاب أَن يكون على السّنة.

﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَاّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

أي: ولو قلت يا محمد لهؤلاء المشركين: إنكم مبعوثون من بعد الموت للحساب والجزاء على ما انكشف منكم بذلك الابتلاء، لأنكروا ذلك أشد الإنكار، ولتعجبوا منه كل العجب، وقالوا: ما هذا القول إلا سحر ظاهر؛ أي: خديعة منكم لنا، لتمنعونا عن لذات الدنيا وشهوتها، ولتتسلطوا علينا وندخل في طاعتكم؛ كما قال تعالى عن قوم نوح: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾، حديث رقم: ٧٤١٨

٢ - سورة الملك: الآية/ ٢

يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤]، وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿قالُوا أَجِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِي الْأَرْضِ وَما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ﴾.[1]

وقولهم: ﴿إِنْ هذا إِلَاّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، مبالغة في الجحود والإنكار؛ لصدِّ الناس عن دين الله تعالى؛ أي: ليس هذا إلا سحرٌ بيِّنٌ وخداعٌ ظاهر.

١ - سورة يونس: الآية/ ٧٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحاقَ بِهِمْ مَا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾. سورة هود: الآية/ ٨

يقول الله تعالى مبينًا سوء اعتقاد أولئك المشركين، وسوء فهم، وقلة إدراكهم: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾؛ أي: ولو أخرنا عنهم العذاب فلم نعاجلهم بالعقوبة، إلى أجل محدود، وتقدم أن لفظ الأمة يطلق في كتاب الله تعالى ويراد به عدة معانٍ منها المدة من الزمن؛ كما في هذه الآية؛ وكما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يُوسُفَ: ٤٥]؛ أي: بعد أمدٍ .

﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾.

أي: لَيَقُولُنَّ ما يمنعُ نزولَ العذابِ؟ استعجالًا له واستهزاءً بالوعيد به؛ كما قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِما نَقُولُ﴾.[١]

﴿أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾.

افتتح الكلام بـ (ألا) التي للتنبيه؛ لتنبيه هؤلاء المشركين إلى خطر ذلك العذاب الذي يُكَذِّبون به، وتقديم الظرف؛ لتأكيد وقوعه، وأن له يومًا سيأتي لا محالة .

﴿لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾؛ أي: ليس يصرِفُه عنهم صارفٌ، ولا يدفَعُه عنهم دافِعٌ، لا بكثرة أعوان، ولا بحيلة محتال، ولا بقوة من قبلهم، ولا من قبل آلهتهم.

﴿وَحاقَ بِهِمْ مَا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾.

أي: وأحاط بهم ذلك العذاب الذي كانوا يستهزؤن به، والإخبار عن وقوع العذاب وإحاطته بهم بصيغة الماضي؛ لتأكيد وقوعه لا محالة.

وقوله: ﴿وَحاقَ بِهِمْ مَا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾، ولم يقل: (وحاق بهم العذاب لبيان أن استهزاءهم كان من أسباب غضب الله عليهم، وحلول العذاب بهم، بحيث لا يجدون منه مفرًا.

---

١ - سورة المجادلة: الآية/ ٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾. سورة هود: الآية/ ٩- ١١

يقول الله تعالى: ولئن آتينا الإنسان منا رحمة، من سعة في الرزق، وصحة في البدن، وأمن في الوطن، وأذقناه لذتها فاغتبط بها .

﴿ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ﴾ .

أي: ثم سلبنا منه تلك النعم أو بعضها، بضيق العيش، أو المرض، أو الخوف، أو موت محبوب .

﴿إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ﴾.

أي: إنه عندئذٍ لشديد اليأس من الخير، قنوط من عودة تلك النعم المسلوبة، عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعم الله، وتلك من الصفات الذميمة والأخلاق الرديئة التي يتصف بها أغلب البشر، شديد اليأس في الشدة، كفور لنعم الله تعالى، والإنسان هنا اسم جنس يعم جميع بني آدم إلا من رحم الله من أهل الإيمان الصابرين على أقدار الله، الشاكرين لنعم الله.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي﴾.

أي: ولئن وسعنا عليه النعمة وأذقناه لذتها بعد الضُّرِ الذي ناله، كصحة بعد سقم، وغنى بعد عدم، وأمن بعد خوف، ليقولن ذهبت عني المصائب التي ساءتني.

قال البيضاوي: وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة، وأنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء لأن الذوق إدراك الطعم والمس مبتدأ الوصول.[١]

١ - تفسير البيضاوي (٣/ ١٢٩)

﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾.

أي: إنَّ من عادته الفرح والبطر بالنعم، والفخر بها على الخلق، قال ابن عباس: يفاخر أوليائي بما أوسعت عليه.

وإنما ذكره الله تعالى في معرض الذم بقوله: ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾؛ لأنه لم يعترف بنعمة الله ولم يحمَده على ما صُرف عنه، وإنما توهم أنه مستحق لذلك، وذمه بهذا الفرح لأنه يرجع إلى معنى المرح والتكبُّر عن طاعة الله؛ كما قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾.[1]

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

قيل: الاستثناء هنا متصل؛ لأن الانسان بمعنى الناس؛ كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا.....﴾.[2]

وقيل: الاستثناء هنا منقطع، ومعناه: لكن الذين صبروا على المكاره، وصبروا عن المعاصي، وعملوا الطاعات

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

أي: لهم مغفرة الذنوب، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾؛ أي: ثواب عظيم.

---

١ - سورة غافر: الآية/ ٧٥

٢ - سورة العصر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحى إِلَيْكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾. سورة هود: الآية/ ١٢

سبب نزول الآية:

قال ابن عطية: سبب هذه الآيات أن كفار قريش قالوا: يا محمد لو تركت سب آلهتنا وتسفيه آبائنا لجالسناك واتبعناك. وقالوا: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، ونحو هذا من الأقوال. فخاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة من المخاطبة، ووقفه بها توقيفا رادا على أقوالهم ومبطلا لها، وليس المعنى أنه صلى الله عليه وسلم هم بشيء من ذلك فزجر عنه، فإنه لم يرد قط ترك شيء مما أوحي إليه، ولا ضاق صدره، وإنما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن الإيمان.

﴿فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحى إِلَيْكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾.

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: فلعلك يا محمد، تاركٌ بعضَ ما يوحِي إليك ربك فلم تبلغه، يعني: عيبَ آلهَتِهم، وضائق صدرك بقول المشركين لك: ﴿لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾، والضمير في به كناية فسرها ما بعدها، قيل: لعل هنا للاستفهام بمعنى هل .

ويحتمل أن يعود الضمير في (به) على بعض. ويحتمل أن يعود على ما، ويحتمل أن يعود على التبليغ، ويحتمل أن يعود على التكذيب.

وإنما قال الله تعالى: ﴿ضائِقٌ﴾، ولم يقل: (ضيق) وإن كان ضيق أكثر استعمالا؛ للمناسبة في اللفظ مع تارك، ولأن ﴿ضائِقٌ﴾، يذكر للضيق العارض، والضيّقُ يذكر للضيق اللازم، وكان ما يلحقه من كلامهم أمرًا عارضًا، فلذلك قال: ﴿وَضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾.

﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾.

أي: هل أنت تاركٌ بعضَ ما يوحِي إليك ربك ولا تبلغه، مخافة ردهم له وتهوانهم به، كراهية أن يقولوا، أو لئلا يقولوا، هلا أنزل عليه ما اقترحنا عليه من الكنزِ لننفقه، والْمَلَكِ لنصدقه .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ﴾.

أي: ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَما جَعَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.[1]

﴿وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.

أي: والله حفيظ يحفظ ما يقولون فيك؛ فهو الوكيل تعالى لا أنت؛ قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾ [الإسراء: ٥٤]، وشهيد مطلع عليهم لا يخفى عليه شيء من أحوالهم.

١ - سورة الأنعام: الآية/ ١٠٧

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلَاّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.
سورة هود: الآية/ ١٣، ١٤

مناسبة الآية لما قبلها :

لما سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بمعجزة حسية تكون دليلًا على صدق نبوته بقولهم: ﴿لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾، تحداهم أن يعارضوا القرآن بعشر سور مثله في البلاغة والبيان، وإن كن مفتريات، والقرآن من جنس ما يتكلمون به، وهم أرباب الفصاحة، وأساطين البيان، ومع ذلك عجزوا عن معارضة القرآن بعشر سور مثله، وإن كن مفتريات .

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾.

أَمْ هذه منقطعة بمعنى (بل) التي للإضراب للانتقال من غرض إلى آخر، وتأتي بمعنى همزة الإنكار، وتأتي بمعناهما معًا وهو الظاهر في هذه الآية الكريمة؛ والمعنى: دع هذا، واسمع قولهم المستنكر، لظهور كذبهم فيه، أن محمدًا افترى هذا القرآن.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾.

أي: قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم: يأتوا بعشرِ سورٍ مثلِ هذا القرآنِ مختلَقاتٍ، إن كان ما أتيتُكم به مِن هذا القرآنِ مُفْتَرًى، وليس بآيةٍ مُعْجِزَةٍ.

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

أي: وَاستَعِينُوا بِمن استَطَعتُم من دون الله من أهل الفصاحة والبيان، إن كنتم صادقين في دعواكم أنَّه مفترى من دون الله.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾.

أي: فإن لم يأت المشركون بما يعرضون به القرآن، ولو كان عشر سور مفتريات، فاعلموا أنهم إنما تركوا ذلك عجزًا منهم، لا سيما والدواعي متوفرة على معارضته؛ لأنه في أعلى درجات البلاغة، وأنه منزل من عند الله تعالى، متضمن علمه وأمره ونهيه، والإخبار بغيوب لا سبيل لهم إلى معرفتها إلا بالقرآن.

﴿وَأَنْ لا إِلهَ إِلَاّ هُوَ﴾.

أي: واعلموا أن ما دعاكم إليه من توحيد الله حقٌ.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

استفهام فيه من معنى الطلب، والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر؛ أي: فهل أنتم داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة عليكم؟

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيها وَباطِلٌ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾. سورة هود: الآية/ ١٥، ١٦

يخبر الله تعالى أن من كان عمله للحياة الدنيا وتحصيل ملذاتها، وشهواتها، وزخرفها، ولا يريد بعمله الدار الآخرة ولا يريد وجه الله تعالى، فإن الله تعالى يوفيه جزاء عمله في الدنيا، بسعةِ الرزقِ، وطيبِ العيش، ولا ينقصه من أجره شيئًا .

واختلف العلماء فيمن نزلت الآية، فقَالَ الضَّحَّاك: نزلت الْآيَة فِي الْمُشْركين .

وقيل نزلت في اليهود والنصارى.

وَقَالَ مُجَاهِد: نزلت الْآيَة فِي كل من عمل عملا وَأَرَادَ بِهِ غير الله، وهو الراجح.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا﴾ [الْإِسْرَاءِ: ١٨ -٢١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ الآية.[١]

قال بعض المفسرين: كان في قوله: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا....﴾، زائدة، وهو قول باطل وقد تقدم في غير موضع أن القرآن ليس فيه شيء زائد، وإنما أُتي بـ (كان) للدِلالة على استمرار حالهم في إرادة الدنيا، بحيث لا يكادون يريدون الآخِرةَ أصلاً.

١ - سورة الشورى: الآية/ ٢٠

وكرر لفظ (فيها) للتأكيد والإعلام بأن الآخرة ليست كالدنيا في وفاء كيل الجزاء وفي بخسه، فإنه فيها منوط بأمرين: كسب الإنسان، ونظام الأقدار، وقد يتعارضان، وأما جزاء الآخرة فهو بفعل الله تعالى مباشرة.

﴿وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ﴾.

أي: لا يُنقصون من أجور أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا شيئًا، بل يُعطون أجور أعمالهم كاملة.

قال أبو السعود: وإنما عبر عن ذلك بالبخْس الذي هو نقصُ الحقِّ مع أنه ليس لهم شائبةُ حقٍ فيما أوتوه، كما عبّر عن إعطائه بالتوفية التي هي إعطاءُ الحقوقِ مع أن أعمالهم بمعزل عن كونها مستوجبةً لذلك بناءً للأمر على ظاهر الحالِ ومحافظةً على صور الأعمالِ ومبالغةً في نفي النقص.[1]

﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾.

لأنهم استوفَوا أجورَ أعمالِهم الحسنةِ، وبقيت عليهم أوزارُهم السيئةِ .

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيها وَباطِلٌ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

لأنه عُمِلَ لغير الله تعالى.

١ - تفسير أبي السعود (٤/ ١٩٣)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إِماماً وَرَحْمَةً أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾. سورة هود: الآية/ ١٧

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى حال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها، ذكر في هذه الآية حال من كان على بينة من ربه، الذي يريد وجه الله تعالى بتوحيده له وأعماله الصالحة.

﴿أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾.

في الكلام حذف اختصار حيث حذف المعادل الذي دخلت عليه الهمزة، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى﴾ [الرعد: ٣١]، يعني: لكان هذا، ومثاله كذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾ [فاطر: ٨]، والتقدير: أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا؟

يقولُ الله تعالى: أفمن كان على برهانٍ وحجةٍ مِن أمرِ ربّه والعلمِ بوحدانيتِه، فهو يعبُدُه على بصيرةٍ منه، وأنَّ دينَ الإسلام هو الحق، يعني كمن كفر بالله وكذب أنبياءه فلا يعرف ربه، ولا يريد بعمله إلا الحياة الدنيا؟ والاستفهام هنا إنكاريّ.

﴿وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ﴾.

أي: ويتبعه ﴿شاهِدٌ مِنْهُ﴾؛ أي: يشهد بكون القرآن من عند الله تعالى، نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله محمد صلى لله عليه وسلم، وبلغه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم إلى أمته.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إِماماً وَرَحْمَةً﴾.

أي: ومن قبل القرآن أنزل الله تعالى كتاب موسى وهو التوراة، إمامًا لبني إسرائيل وقدوة يقتدون به، ورحمة أي: ونعمة عظيمة على المنزل إليهم من الله؛ لما فيه من بيان لمعالم الدين؛ ولأن الله استنقذهم به من النار.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. سورة هود: الآية/ ١٨

مناسبة الآية لما قبلها:

لما زعم المشركون أن محمدًا صلى الله عليه وسلم افترى القرآن ونسبه إلى الله تعالى، وتحداهم الله أن يأتوا بعشر سور مثله وإن كن مفتريات، فعجزوا عن ذلك بين الله تعالى أنه لا أظلم منهم؛ لأنهم هم من افترى على الله الكذب، بزعمهم أن القرآن ليس كلام الله تعالى، وزعمهم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم افتراه؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلَاّ إِفْكٌ افْتَراهُ وَأَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَزُوراً﴾.[1]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾.

سؤال الغرض منه الإنكار؛ أي: لا أحد أظلم من هؤلاء المشركين؛ لأنهم افتروا على الله كذبا حين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونسبوا كلام الله تعالى لغيره، وبقولهم لأصنامهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وقولهم: الملائكة بنات الله، وتشريع ما لم يأذن به الله.

﴿أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ﴾.

إشارة إلى الموصوفين بالظلم، والْعرض: إِظْهَار الشَّيْء ليرى وَيُوقف على حَاله، ويعرضون للتشهير بهم، وفضحهم على رؤوس الأشهاد.

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ﴾.

اخْتلف المفسرون فِي المراد بالأشهاد، فرُوِيَ عَن ابْن عَبَّاس أَنه قَالَ: هم الْأَنْبِيَاء والمرسلون. وَقَالَ مُجَاهِد: هم الْمَلَائِكَة. قيل: الأشهاد بمعنى الشاهدين، وهم الْخَلَائق كلهم، يقولون: ﴿هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ﴾، تشنيعًا عليهم، واستبشاعًا لحالهم؛ كما تقول إذا رأيت مجرمًا قد أُخذَ: هذا هو الذي فعل كذا وكذا.

---

١ - سورة الفرقان: الآية/ ٤

﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

تنبيه للخلق على خطر الكذب على الله تعالى، وعلى سوء عاقبة الكذبين، ووضع الظاهر موضع المضمر؛ لبيان استحقاقهم لذلك الوصف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (١٩) أُولئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ مَا كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَما كانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠) أُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَفْتَرُونَ (٢١) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾. سورة هود: الآية/ ١٩- ٢٢

أَي: الذين يمنعون الناسَ عن الإيمان بالله تعالى واتِّبَاعِ دينه القويم وَسُلُوكِ طَرِيقِ الهدَية، الْمُوَصِّلَةِ إِلَى اللَّهِ تعالى.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾.

أَيْ: وَيُرِيدُونَ أَنْ تَكُونَ طَرِيقُ معوجةً غَيرَ مُعتَدِلَةٍ، بتزيين الكفر والباطل تارة، وإكراه الناس عليه تارة أخرى، والإخبار بالمصدر ﴿عِوَجاً﴾، للمبالغة؛ أي ويريدون إظهار سبيل الإسلام عوجاء، بإثارة الشبهات، ورميها بالنقائص تنفيرًا للناس عن الإسلام.

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ﴾.

أي: وهم مع ذلك مكذبون بالآخرة، منكرون لها، ولما فيها من البعث والنشور، والعرض والحساب، والجنة والنار، وتقديم الضمير في الموضع الأول، لبيان تمكن الكفر منهم، وأنه ثابت ملازم لهم، أعادَ لفظَ (هم) تأكيدًا لكفرِهم، واختصاصهم به.

﴿أُولئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾.

أي: أُولئِكَ لم يكونوا معجزين الله تعالى أن يعاقبهم في الدنيا، لو أراد عقابهم.

﴿وَما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ﴾.

وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه.

﴿يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ﴾.

يضاعف لهم العذاب، لأنهم صدوا الناس عن دين الله تعالى وحالوا بينهم وبين الإيمان بالله تعالى، كما قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَمِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.[1]

﴿مَا كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَما كانُوا يُبْصِرُونَ﴾.

أي: ما كانوا يستطيعوا السمع الذي ينتفعون به، وما كانوا يبصرون الحق الذي ينتفعون به، مع سلامة الحواس الظاهرة.

﴿أُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

يقول الله تعالى أولئك يعني الذين هذه صفاتهم: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَها عِوَجاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ﴾، الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله؛ لأنهم أوردوها موارد الهلاك.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

أي: وغاب عنهم ما كانوا يفترونه على الله تعالى من عبادة الأوثان، وما أحدثوه من عبادات وتشريعات، ما أنزل الله تعالى بها من سلطان؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾.[2]

﴿لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾.

قال الفراء: ﴿لا جَرَمَ﴾ كلمة كانت في الأصل بمنزلة (لا بد) و (لا محالة)، فكثر استعمالها حتى صارت بمنزلة (حقًا).[3]

والمعنى: حقًّا أو لابد أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

قال ابن كثير: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حَالِهِمْ أَنَّهُمْ أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةً فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُمُ اسْتَبْدَلُوا بِالدَّرَكَاتِ عَنِ الدَّرَجَاتِ، وَاعْتَاضُوا عَنْ نَعِيمِ الْجِنَانِ بِحَمِيمٍ آنٍ، وَعَنْ شُرْبِ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، بَسمُوم وَحَمِيمٍ، وظِلٍّ مِنْ

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٢٥

٢ - سورة الْأَحْقَافِ: الآية/ ٦

٣ - معاني القرآن (٢/ ٨)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَحْمُومٍ، وَعَنِ الْحُورِ الْعَيْنِ بِطَعَامٍ مِنْ غِسْلين، وَعَنِ الْقُصُورِ الْعَالِيَةِ بِالْهَاوِيَةِ، وَعَنْ قُرْبِ الرَّحْمَنِ، وَرُؤْيَتِهِ بِغَضَبِ الدَّيَّانِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ.[1]

١ - تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٥)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَأَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٢٣) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾. سورة هود: الآية/ ٢٣- ٢٤

الإخبات: هو الخشوع، مأخوذ من قصد الخبت وهو المكان المطمئن المنخفض من الأرض والنزول فيه، يقولون: أخبت الرجل؛ كما يقولون: أنجد وأسهل وأتهم.

وهو ما تطامن من الأرض، ويقال: خبت ذكره؛ أي: خفي، ومنه المخبت من الناس.

قال ابنُ عباسٍ في قولِه: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾. خافوا.

وقال ابنُ عباسٍ وقتادة ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾: وأنابوا إلى ربِّهم.

وعن قتادةَ: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾: الإخباتُ: التخشُّعُ والتواضعُ.

والأصل أن يتعدى الفعل أخبت باللام؛ فيقال: قد أخبت فلان لفلان، وعدي هنا بـ (إلى) لتضمنه معنى الخضوع والإنابة؛ فيكون المعنى: إن الذين آمنوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ورسولًا، وخشعوا بقلوبهم وجوارحهم مطمئنين إلى ربهم.

﴿أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾.

قدم الضمير للاختصاص؛ أي: أولئك المتصفون بما ذُكِرَ هم أصحاب الجنة خالدون فيها أبدًا.

وقيل: نزلت هذه الآية في أصحاب محمّد صلى الله عليه وسلم، ونزلت التي قبلها في المشركين، والراجح أنها عامة في كل من كانت هذه صفته.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾.

ضرب الله تعالى لكلٍ من الفريقين مثلًا فقال: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾؛ يعني: الكفار والمؤمنين، ﴿كَالْأَعْمى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾، شَبَّهَ الكافرَ بالأعمى وبالأصمِّ؛ لما عميت بصيرته فلم ير الحقَّ، ولم يستجب لنداء الإيمان، وشبه المؤمن بالبصير والسميع؛ لما أبصَر الحقَّ ببصيرته، واستجاب لربِّهِ تبارك وتعالى.

﴿هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً﴾.

سؤال الغرض منه النَّفي والإنكار.

﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

أي: أفلا تتَّعظون، سؤال الغرض منه الأمر؛ أي: اتَّعِظوا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَاّ اللَّهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾. سورة هود: الآية/ ٢٥، ٢٦

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى أنه أرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، بالأمر بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وأمره أن ينذر من خالفه وأشرك بالله تعالى، ويبشر من أطاعه وعبد الله تعالى وحده؛ بقوله تعالى: ﴿أَلَاّ تَعْبُدُوا إِلَاّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ.....﴾ [هود: ٢، ٣]، أخبر تبارك وتعالى أنه أرسل نوحًا عليه السلام من قبل بما أرسل به محمدًا صلى الله عليه وسلم، فلم يكن محمد صلى الله عليه وسلم بدعًا من الرسل، فبعثته كبعثة من سبقه من الرسل، وأصول رسالته هي أصول رسالتهم، لا اختلاف فيها ولا تباين.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

الواو هنا واو العطف لأنها عطفت قصة نوح عليه السلام، على ما تقدم من الإخبار عن بعثة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، واللام في: (لقد) لام القسم؛ لأن المخاطبين لما أنكروا بعث الرسل من البشر كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلَاّ أَنْ قالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٤]، أكد الله تعالى بعثة نوح بلام القسم.

﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

في الكلام حذف إيجاز تقديره: قال إني لكم نذير مبين، وهي قراءة: نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف بفتح الهمزة ﴿أَنِّي﴾، وتقديره: بِأَنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ.

﴿أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَاّ اللَّهَ﴾.

(أَنْ) هنا تفسيرية؛ أي: أرسلناه بأن لا تعبدوا إلا الله، وهو نهي عن الشرك بالله تعالى، وأمر بإفراد الله تعالى وحده بالعبادة، وهي دعوة كل رسول؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.[1]

﴿إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

أي: إن لم توحدوا الله تعالى، وأشركتم به غيره، ووصف اليوم بالأليم مبالغة في وصف شدة العذاب في ذلك اليوم، وأن العذاب قد بلغ الغاية حتى جعل زمانه أليمًا.

١ - سورة النحل: الآية/ ٣٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَاّ بَشَراً مِثْلَنا وَما نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَاّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ وَما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ﴾. سورة هود: الآية/ ٢٧

أي: فقال أشراف قومه له ردًّا على قوله لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَاّ اللَّهَ.....﴾. ما نراك إلا إنسانًا مثلنا، استبعادًا منهم أن يرسل الله تعالى بشرًا رسولًا، وهي الشبهة التي يثيرها أعداء الرسل في كل زمان.

وعطف الله تعالى مقولتهم على كلام نوح بالفاء التي تفيد الترتيب مع التعقيب؛ لأنهم بادروا بتكذيبه بغير تفكر ولا روية، ولا إمعان نظر، وتقدم أنه قيل للأشراف والكبراء ملأ لأنهم يملؤن عين من ينظر إليهم.

وإنما قالوا: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَاّ بَشَراً مِثْلَنا﴾؛ لأنهم ظنوا أن ادعى النبوة ليتفضل عليهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً مَا سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾.[1]

﴿وَما نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَاّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ﴾.

الأراذل جمع الأرذل، كأساود جمع الأسود من الحيات، أرادوا اتبعك أخساؤنا وسقطنا وسفلتنا، الفقراء، والذين لا حسب لهم، ولا جاه، والذين ليس لهم نظر ثاقب في عواقب الأمور، ومآلاتها، فلم يميزوا حالك، ولم يختبروا صدقك فيما تدعيه، وجعلوا ذلك سببًا لإعراضهم عن الإيمان بالله تعالى، واتباع رسول الله نوح عليه السلام؛ كما قال تعالى عنهم: ﴿قالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾.[2]

﴿وَما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ﴾.

أي: ولا نرى لكم علينا من فضلٍ سبقتمونا بسبب للإيمان، بل نظنكم كابين فيما تدعونه، فردوا الدلالات الباهرة بالظنون الكاذبة.

١ – سورة المؤمنون: الآية/ ٢٤

٢ – سورة الشعراء: الآية/ ١١١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوها وَأَنْتُمْ لَها كارِهُونَ (٢٨) وَيا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالا إِنْ أَجرِيَ إِلَاّ عَلَى اللَّهِ وَما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَلكِنِّي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾. سورة هود: الآية/ ٢٨، ٢٩

(البَيِّنَة): اليقين والبرهان الساطع، والدليل القاطع على صحة نبوته، والهاء في (بَيِّنَةٍ) للمبالغة.

قال ابن عباس: على يقين وبصيرة ومعرفة من ربوبية ربي وعظمته.

يقول نوح عليه السلام: أخبروني يا قَوْمِ أَرَأَيْتُم إِنْ كُنْتُ عَلى يقين مِنْ رَبِّي ودليلٌ قاطع بصحة دعواي، وَآتانِي رَبِّي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ وهي النبوة، فَعُمِّيَت عَلَيكُم تلك البينة وخفيت عليكم على ظهورها فلم تهتدوا بها ﴿أَنُلْزِمُكُمُوها وَأَنْتُمْ لَها كارِهُونَ﴾، السؤال هنا للإنكار؛ أي: أنلزمكم تلك البينة ونكرهكم على الاهتداء بها، وَأَنْتُمْ تستحبون الضلالة وتكرهون الهدى؟

﴿وَيا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالا إِنْ أَجرِيَ إِلَاّ عَلَى اللَّهِ﴾.

أي: يا قوم لا أسألكم على تبليغ الرسالة مالًا يثقل عليكم إن أديتموه فتنفروا عني نفرتكم تلك، ﴿إِنْ أَجرِيَ إِلَاّ عَلَى اللَّهِ﴾، فلا أريد الأجر إلا من الله، و(إِنْ) هنا نافية، وتكرار النداء بـ: ﴿وَيا قَوْمِ﴾، تحننًا إليهم وطلبًا لمودتهم، وليكون أدعى لاستجابتهم.

﴿وَما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ﴾.

جواب لهم حين سألوه أن يطرد من آمن به أنفة من مجالستهم بقولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، ﴿إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ﴾، فيسألهم عن الإيمان بما جئت به، ويسألني عن تبليغ دين، فمن ينصرني من الله إن طردتهم؟

﴿وَلكِنِّي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾.

أي: ولكني أراكم قومًا تجهلون أن ميزان التفاضل عند الله تعالى ليس بالغنى والجاه، إنما بالتقوى والعمل الصالح.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِما فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾. سورة هود: الآية/ ٣٠، ٣١

سؤال الغرض منه الإنكار؛ أي: لا ناصر لي من الله يدفع عني عقابه إن طردتهم، والنصر: إعانة المقاوم لضد أو عدو، وعُدي النصر بـ (من)؛ لأنه ضُمِّنَ معنى الإنجاء والتخليص؛ أي: من ينجيني ويخلصني من الله؛ أي: من عقابه، ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: أفلا تتعظون؟

﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾.

ليس ببعيد أن يكونوا سألوه تعنتًا ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ كما فعل مشركو قريش مع رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: ﴿وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٠- ٩٣]، فأخبرهم أنه لا يقدر على التصرف في خزائن الله، ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله تعالى عليه، وليس هو بملك من الملائكة، بل بشر أرسله الله تعالى بشيرًا لمن أطاع الله تعالى بالجنة، ونذيرًا لمن عصاه بالعذاب الأليم.

﴿وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِما فِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي: لا أقول لهؤلاء المؤمنين الذين تحتقرهم أعينكم: لن يؤتيهم الله أجرًا على إيمانهم وطاعتهم، قال ذلك قطعًا لرجائهم أن يطرد فقراء المؤمنين، بل أخبر أن الله تعالى هو الذي يتولى أمرهم وهو الذي يحاسبهم على إيمانهم وأعمالهم؛ لأنه تعالى أعلم بما في أنفسهم.

﴿إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

إن قلت لهم ذلك، أو طردتهم طلبًا لمرضاتكم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالُوا يَا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شاءَ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. سورة هود: الآية/ ٣٢، ٣٤

الجدال: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل إذا أحكمت فتله، ويقال للصقر: أجدل، لِشِدَّتِهِ فِي الجَوارِح.

أي: قالوا: يا نوح قد خاصمتنا فأكثرت خصومتنا وبالغت فيها، ودل على شدة جدال نوح عليه السلام لقومه في إثبات توحيد الله تعالى، والبعث والنشور، ودعوتهم إلى الإيمان قوله تعالى: ﴿قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهاراً (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَاّ فِراراً (٦) وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً﴾ [نوح: ٥- ٩]، وهذا الجدال ممدوح؛ لأنه لإظهار الحق، ودحض الباطل، بخلاف الجدال بالباطل.

﴿فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

أي: فأتنا بالهلاك والعذاب إن كنت صادقًا فيما تقول، وكَانَ قد توعدهم بالْعَذَاب إن لم يُؤمنُوا؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَاّ اللَّهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.[1]

﴿قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شاءَ﴾.

أي: قال نوح: إن الذي يملك ذلك هو الله تعالى، وهو الذي يأتيكم به إن شاء، أما أنا فلا أملك لكم نفعًا ولا ضرًّا.

﴿وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

أَي: وما أنتم بفائتين الله إن أرادكم بسوء، وَلَا هاربين من عقوبته.

١ - سورة هود: الآية/ ٢٦

﴿وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾.

النصح: بَيَان مَوضِع الغي ليجتنب، وَبَيَان مَوضِع الرشد ليطلب.

أي: ولا ينفعكم إعلامي لك ما ينفعكم ولا ما يضركم إن كان سبق في علم الله تعالى أنه تعالى يريد أن يضلكم.

﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

أي: هو يقضي فيكم بما شاء، لا رادَّ لأمره، ولا معقِّبَ لحكمه، وإليه مرجعكم فيجازيكم بأعمالكم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾. سورة هود: الآية/ ٣٥

أم هنا هي المنقطعة تدل على الإضراب الانتقالي؛ أي: الانتقال من غرض لغرض، وتفيد الاستفهام الإنكاري أيضًا؛ أي: أم يقول مشركو مكة: إنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم قد افترى هذا القرآن، ومنه خبر قوم نوح عليه السلام مع ما فيه من التفاصيل الدقيقة، والأحداث العجيبة؟

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ.....﴾، جملة معترضة بين آيات قصة نوح عليه السلام، ومناسبة هذا الاعتراض أن تفاصيل هذه القصة العجيبة لا يعلمها مشركو قريش، ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بها علم بها ولا بغيرها قبل نزول الوحي، على ما فيها من التفاصيل الدقيقة، والأحداث العجيبة ومع ذلك يقول المشركون افتراه، والجمل الاعتراضية معهودة في القرآن ومن ذلك الوصية بالوالدين في أثناء موعظة لقمان لابنه بعد نهيه عن الشرك بالله تعالى.

﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾.

الإجرام اكتساب السيئة واقترافها؛ أي: قل لهم يا محمد: إن كنت افتريته على الله كما تزعمون فإنما إثم ذلك وعقابه عليّ، قال قتادة: إجرامي أي: عملي.

﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: والتقدير لكن أنا ما افتريته على الله تعالى فالإجرام واقع منكم وإثمه عليكم أنتم وأنا بريء منه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَاّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾. سورة هود: الآية/ ٣٦، ٣٧

يقال: ابتأس الرجل إذا بلغه شيء يكره، فحزن له، واغتم بسببه، ويقال للرجل إذا كان على حال يكرهه: البائس.

قَالَ أهل اللُّغَة: الابتئاس: حزن مَعَ استكانة

قال حسان:

مَا يَقسِمُ اللهُ أَقْبَلْ غيرَ مُبْتَئسٍ ***** مِنْهُ وأَقْعُدْ كَرِيمًا ناعمَ البالِ

يقول الله تعالى: وأوحينا إلى نوح بعد أن حق عليهم القول أنَّه لن يؤمن من قومك بعد هذا إلا من قد آمن، فلا تحزن ولا تغتم، بما كانوا يفعلونه من الكفر بالله والصدِّ عن سبيله، فإنما آمن من آمن بتوفيق الله تعالى، وكفر من كفر بخذلان الله تعالى.

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا﴾.

عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: بمرأى منا.

وعنه ابنِ عباسٍ: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا﴾، قال: بعينِ اللَّهِ.

وَعَن الضَّحَّاك: بمنظر منا.

وَقيل: برؤيتنا وحفظنا. والمعنى: واصنع الفلك حال كونك محفوظًا بأعيننا.

﴿وَوَحْيِنا﴾.

عن مجاهدٍ: ﴿وَوَحْيِنا﴾. قال: كما نَأْمُرُك.

﴿وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾.

أي: لا تراجعني، ولا تسألْني العفوَ عن هؤلاء الذين ظَلَموا أنفسَهم مِن قومِك، فقد وقع القضاء عليهم بالهلاكَ، وحكم الله عليهم حكمًا لا مردَّ له إنَّهُم مُغْرَقون بالطوفانِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾. سورة هود: الآية/ ٣٨، ٣٩

قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾، حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة، يخبر الله تعالى أن نوحًا عليه السلام امتثل أمر الله تعالى وجعل يصنع الفلك كما أمر الله تعالى، وكلما مرَّ عليه جماعة من أشراف قومه يتضاحكون منه ويستهزؤن به؛ لأنه كان يعمَلُها في بريَّةٍ بعيدةٍ من الماءِ، والسخريةُ: الاستجهالُ مع الاستهزاءِ.

﴿قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ﴾.

أي: قال لهم نوح عليه السلام مجيبًا عليهم: إن تسخروا منا بما لا تدركونه، فإنا نسخر منكم كما تسخرون منا، حين يحل بكم بأس الله الذي لا يرد، ويأتيكم منه ما ليس لكم منه مفرٌ، وقول نوح عليه السلام: ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ﴾، على وجه المشاكلة ردًّا عليه.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾.

ثم قال لهم متوعدًا فَسَوف تعلمُونَ الَّذِي يَأْتِيهِ عَذَاب يهينه، ويذله. وينزل عَلَيْهِ عَذَاب دَائِم لا ينقطع في نار جهنم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَاّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إِلَاّ قَلِيلٌ﴾. سورة هود: الآية/ ٤٠

﴿حَتَّى﴾ تفيد انتهاء الغاية وتقدير الكلام: فجعل نوح عليه السلام يصنع الفلك إلى أن جاء وقت الموعد الذي وقته الله تعالى له ورأى العلامة التي حددها الله تعالى له وهي أن يفور الماء من تنور الخبز.

عن ابنِ عباسٍ في قولِهِ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾. قال: إذا رأيتَ تَنُّورَ أهلِك يخرُجُ منه الماءُ، فإنه هلاكُ قومِك.

وعن مجاهدٍ: ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾. قال: انبجسَ الماءُ منه؛ آيةً أن يركَبَ بأهلِه ومَن معه في السفينةِ.

وقيل: المراد بالتنور: أعلى الأرضِ وأشرفُها، قاله قتادة.

وقيل: هو تنويرُ الصبحِ، قاله عليٌّ رضي الله عنه.

وقيل: وجهُ الأرضِ، قاله عكرمة.

قال ابن جرير: وأَوْلى هذه الأقوالِ عندَنا بتأويلِ قولِه: ﴿التَّنُّورُ﴾. قولُ مَن قال: هو التنورُ الذي يُخْبَزُ فيه؛ لأن ذلك هو المعروفُ مِن كلامِ العربِ، وكلامُ اللَّهِ لا يُوَجَّهُ إلا إلى الأغلبِ الأشهرِ مِن معانيه عندَ العربِ، إلا أن تقومَ حجةٌ على شيءٍ منه بخلافِ ذلك، فيُسَلَّمَ لها. وذلك أنه جل ثناؤُه إنما خاطَبَهم بما خاطَبَهم به، لإفهامِهم معنى ما خاطَبَهم به. قلنا لنوحٍ، حينَ جاء عذابُنا قومَه الذي وَعَدْنا نوحًا أن نعذِّبَهم به، وفارَ التنورُ الذي جَعَلْنا فَوَرَانَه بالماءِ آيةَ مجيءِ عذابِنا، بينَنا وبينَه، لهلاكِ قومِه.

﴿احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

يعني: احْمِلْ في الفلكِ، ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾؛ أي: من كل صنف من البهائم والسباع والدواب والهوام والطيور من كل ذكر وَأُنثَى اثنَينِ، وقوله: ﴿اثْنَيْنِ﴾ تأكيدٌ؛ كما قال تعالى: ﴿وَقالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.[1]

١ – سورة النحل: الآية/ ٥١

﴿وَأَهْلَكَ إِلَاّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾.

أي: واحمل أهلك ﴿إِلَاّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، يَعْنِي: ابْنه وَامْرَأَته فإنهما كانا كافرين، ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾، أي: وأحمل معك مَن صَدَّقَك واتَّبَعَك مِن قومِك.

﴿وَما آمَنَ مَعَهُ إِلَاّ قَلِيلٌ﴾.

أي: ما آمن به طوال سني بعثته إلا قليلٌ واختلف العلماء في عدد من آمن معه؛ فقال ابنُ عباسٍ: حمَل نوحٌ معه في السفينةِ ثمانين إنسانًا.

وقيل: كانوا سبعةً. وقيل: كانوا ثمانية. وقيل غير ذلك، والصواب أن ما أبهمه القرآن فلا فائدة في البحث عنه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ وَنادى نُوحٌ ابْنَهُ وَكانَ فِي مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ (٤٢) قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾. سورة هود: الآية/ ٤١، ٤٣

أي: وقال نوح لمن آمن معه اركبوا في السفينة، والأصل أن اركبوا يعدي بنفسه وعدى بـ (في) لضمنه معنى: الدخول؛ وتقدير الكلام: قال: ادخلوا فيها.

﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها﴾؛ أي: بسم الله إجراؤها؛ أي: جريانها، وإرساؤها؛ أي: وقوفها بعد جريانها، وثباتها؛ يقال: رسا الشيء إذا ثبت؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾.[1]

﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي: لولا مغفرته لذنوبكم، ورحمته إياكم لما نجاكم.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ﴾.

جملة معترضة لبيان خطر ذلك الطوفان، وشدة ارتفاع الموج، وما يصاحبها من أهوال، ومع ذلك فهم حفظ الله ورعايته.

﴿وَنادى نُوحٌ ابْنَهُ وَكانَ فِي مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ﴾.

العزل: التنحية والإبعاد، يقال: هو بمعزل من هذا الأمر؛ أي: بعيد عنه؛ والمعنى: ونادى نوح ابنه وكان في مكان منقطع بعيد من السفينة قائلًا: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ﴾.

﴿قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ﴾.

أي: قال سألجأ إلى جبل عال اعتصم به يحفظني من الماء فلا يصل إلي.

---

١ - سورة النازعات: الآية/ ٣٢

﴿قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَاّ مَنْ رَحِمَ﴾.

أي: لا ملجأ ولا منجى اليوم يعصم أحدًا من أمر الله الذي قضاه وقدره إلا من سبق في علمه الله أنه سيرحمه وينجيه من الهلاك هذا اليوم.

﴿وَحالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾.

أي: صار الموجُ حائلًا بين نوح وابنه، أو بين ابنه والجبل، لارتفاعه فوق كل شيء، فَكانَ ابنه مِنَ الهالكين بالغرق.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْماءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. سورة هود: الآية/ ٤٤

قال اللهُ تعالى بعدما تناهى أمر الطوفان: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْماءُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ﴾، ﴿وَغِيضَ﴾، ﴿وَقُضِيَ﴾، بالبناء للمفعول لأنه أبلغ في التعظيم وأدلُّ على العظمة والجبروت.

وروي أن أعرابيًّا سمع هذه الآية فقال: هذا كلام القادرين.

قال الكرماني: أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر على الإتيان بمثل هذه الآية، بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها في فخامة ألفاظها، وحسن نظمها وجودة معانيها، في تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ﴾.

أصل البلع: تغييب الشيء في الجوف بسرعة. ثم أطلق على كل تغييبٍ على سبيل التشبيه، وورد الأمر بالبلع دون الشرب لما في البلع من القوة والسرعة، ونسب الماء للأرض لأنه نبع منها واجتمع عليها.

﴿وَيا سَماءُ أَقْلِعِي﴾.

الإقلاع: الإمساك يقال اقلع المطر إذا انقطع وأقلع عن الشي إذا تركه، أمر تعالى السماء أن تمسك عن المطر.

﴿وَغِيضَ الْماءُ﴾.

أي: ونقص الماء ونضب من الأرض.

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾.

أي: وأنجز ما كان وعد الله تعالى به، وفُرِغَ منه، وهو هلاك قوم نوح.

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، غرق من غرق، ونجا من نجا.

وقال مجاهد: قضي الأمر بهلاكهم، وقال ابن قتيبة: قضي الأمر فرغ منه، وقال ابن الأنباري: أحكمت هلكة قوم نوح، وقال الزمخشري: أنجز ما وعد الله نوحًا من هلاك قومه.

﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

أي: واستقرت السفينة على جبل الجودي؛ وقيل: هلاكًا وسحقًا للقوم الظالمين.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ (٤٥) قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾. سورة هود: الآية/ ٤٥، ٤٦

أي: وَنادى نُوحٌ ربَّهُ قائلًا: رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وأَنْت وَعَدتنِي أَن تنجي أَهلِي، ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا خلف فيه، ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ﴾، يَعْنِي: وَأَنت أحكم الْحَاكِمين بِالْعَدْلِ.

﴿قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾.

أي: قال الله تعالى: يَا نوحُ إِنَّه ليسَ من أهلك الَّذين وعدتك أَن أنجيهم، لانقطاع الولاية بينك وبينه لكفره؛ ودلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ﴾؛ فإنه تعليل لنفي كونه من أهله.

عن ابن عباس: إنه لابنُه ولكنه خالفه في النية والعمل. وقال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط.

وأما قول من قال: إنّه كان ابن زنى فإنه خطأ محض، وقالوا في قوله عز وجل: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾: إنّ الواحدة كانت تقول للناس: هو مجنون، والأخرى كانت تنبه على الأضياف، فخيانتهما أنهما كانتا مشركتين، وأما غير هذا فلا.

ودل على أنه كان ابنه لصلبه قول الله تعالى: ﴿وَنادى نُوحٌ ابْنَهُ﴾.[1]

﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ﴾.

قيل: الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ عائد على ابن نوح، ودل على هذا قراءة الكسائي ويعقوب: ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صالِحٍ﴾. بلفظ الماضي. أي: إنه عَمِلَ عملاً فاسداً، استحق به البعد عنك.

وقيل: بل الضمير عائد على النداء المفهوم من قوله: ﴿وَنادى نُوحٌ رَبَّهُ﴾. المتضمن سؤال ربه نجاة ابنه، ودل على هذا قراءة ابن مسعود: «إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم».

١ - سورة هود: الآية/ ٤٢

﴿فَلا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

أي: فلا تطلب مني أمرًا لا تعلم أصوابٌ هو أم غير صوابٍ، حتى تقف على كنهه، وسمى نداءه سؤالًا وليس فيه سؤالًا لأنه تضمن السؤال وإن لم يصرح به.

﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

أي: أحذرك أن تكون من الجاهلين، وقيل: أرفعك أن تكون من الجاهلين، الذين يسألون الله ما لا ينبغي لهم أن يسألوه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَاّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (٤٨) تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾. سورة هود: الآية/ ٤٧- ٤٩

لما نهى الله تعالى نوحًا عليه السلام أن يسأله ما ليس له به علم، وحذره أن يكون من الجاهلين، الذين يسألون الله ما لا ينبغي لهم أن يسألوه، بادر نوح عليه السلام بامتثال أمر الله تعالى واعتذر أجمل اعتذار فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾، أي: رب أستجيرُ بك أن أسئلك ما لا يحسن لي سؤاله، وأن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته، تأدباً بأدبك واتعاظاً بموعظتك.

﴿وَإِلَاّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾.

أي: وَإِن لم تَغْفِرْ لِي ما فرط منى من ذلك، وَتَرْحَمْنِي بالتوبة عليّ أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ أعمالا.

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي: قال الله تعالى لنوح عليه السلام: يا نوح اهبط يصاحبك السلام، والأمان من الله لك ولمن معك من الهلاك.

﴿وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾.

البركات: الخيرات الثابتة النامية، ومفردها بركة، وسميت بذلك لثبوت الخير فيها ثبوت الماء في البركة، ومن ذلك بروك البعير لثبوته؛ والمعنى: اهبط يصاحبك الأمان وتصاحبك الخيرات، وتجللك وتغشاك أنت ومن آمن معك وتغشى أمما ممن معك لإيمانهم بالله تعالى.

﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي: وأمم أخرى ظالمة سنمتعهم في الحياة الدنيا بالرزق وطيب العيش ثم مصيرهم إلى العذاب الأليم.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: تلك القصة التي أخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قومه من أنباء الغيب. أي: من أخبار الغيب ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾، يعني من قبل نزول القرآن عليك.

فإن قيل: كانت قصة نوح مشهورة معروفة بين الناس فكيف قال الله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا؟

فالجواب: أنهم كانوا يعلمونها مجملة فنزل القرآن بتفصيلها وبيانها.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَاّ مُفْتَرُونَ (٥٠) يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَاّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾. سورة هود: الآية/ ٥٠- ٥٢

يقول الله تعالى: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا فقال لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: اعبدوا الله وحده لا شريك له، دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان. ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ﴾، أي: فلا معبود بحق سواه.

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَاّ مُفْتَرُونَ﴾.

إن هنا نافية؛ أي: ما أنتم في شرككم بالله تعالى، وعبادة غيره معه من الأوثان إلا أهل افتراءٍ وكذب على الله تعالى؛ لأنه لا إله غيره ولا رب سواه.

﴿يَا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَاّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

قال هود عليه السلام لقومه: يا قوم لا أسألكم على نصحي لكم ودعوتكم إلى التوحيد ونبذ ما يعبد من دون الله، لا أسألكم على ذلك أجرًا ما أبتغي الأجر إلا من الله الذي خلقني، وإنما قال لهم ذلك نفيًا للتهمة عن نفسه، وتمحيضًا للنصيحة لقومه، فإن الدعوة لا تثمر إذا كانت مشوبة بالمطامع الدنيوية.

﴿وَيا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ﴾.

وقال هود عليه السلام: ﴿وَيا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾، يعني مما سلف من الآثام ومنها الكفر بالله تعالى، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾، يعني: فيما يستقبلكم من الأعمال.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ﴾.

لأن الإيمان بالله تعالى والاستغفار والتوبة سبب سعة الرزق وزيادة البركة؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، [الأعراف: ٩٦]، وكما قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾.[١]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ».[٢]

﴿وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾.

أي: ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه مُصِرّين على إجرامكم وآثامكم.

١ - سورة الجن: الآية/ ١٦

٢ - رواه أبو داود- كِتَاب الصَّلَاةِ، بَابٌ فِي الِاسْتِغْفَارِ، حديث رقم: ١٥١٨، وابن ماجه- كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ الِاسْتِغْفَارِ، حديث رقم: ٣٨١٩، بسند ضعيف

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ وَما نَحْنُ بِتارِكِي آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِكَ وَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَاّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ قالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ﴾. سورة هود: الآية/ ٥٣- ٥٥

﴿قالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ﴾، قالوا ذلك جحودًا منهم لنبيهم وتكذيبًا له؛ كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [يونس: ٢٠]، وقال تعالى مبينًا ما أيد به نبيه هود عليه السلام من المعجزات: ﴿وَتِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ﴾.[١]

وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ما من نبي إلا وآتاه الله من الآيات الحسية ما يستدل به قومه على صدق دعوته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ، أَوْ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[٢]

﴿وَما نَحْنُ بِتارِكِي آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِكَ﴾.

ضمن (الترك) معنى: الصدور، أي: وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك.

﴿وَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

قالوا ذلك قطعًا لرجائه أن يؤمنوا به ويستجيبوا له.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَاّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ﴾.

يقال اعتراه كذا يعتريه إذا غشيه وأصابه، أي: ما نقول فيك إلا أصابك، ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ بجنون وخبل بسبب سبّك إياها.

١ - سورة هود: الآية/ ٥٩

٢ - رواه البخاري- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم، حديث رقم: ٧٢٧٤

﴿قالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

قال هود عليه السلام: إِنِّي أُشهد الله تعالى وأشهدكم أني بريء من أصنامكم، غير موافق لكم على دينكم.

﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ﴾.

الكيد: احتيال بشرٍّ. أي قال: فاحتالوا بِكُل حِيلَة في ضري أنتم وأوثانكم جميعًا، ﴿ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ﴾، أي: لا تؤخرون ولا تمهلون، وَهَذَا القَوْل معْجزَة لهود صلوَات الله عَلَيْهِ فَإِنَّهُ أَمرهم أَن يحتالوا بِكُل حِيلَة لإيصال مَكْرُوه إِلَيْهِ، ومنعهم الله تَعَالَى عَن ذَلِك فَلم يقدروا عَلَيْهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾. سورة هود: الآية/ ٥٦، ٥٧

أي قال هود: إني اعتمدت على الله تعالى وفوضت أمري إليه، الذي خلقني وخلقكم، ويدبر أمري وأمركم، فلا أرجو سواه، ولا أخاف غيره.

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾.

أي: ما من نفس تدب على الأرض إلا والله تعالى مالكها، ومتصرف فيها، وهي تحت قهره تعالى وسلطانه، وحكمه تعالى فيها ماضٍ.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

أي: إن ربي على سبيل الحق والعدل لا يعدل عنه، يُجازي المحسنَ مِن خلقِه بإحسانِه والمسيءَ بإساءتِه، لا يظلمُ أحدًا منهم شيئًا.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً﴾.

أي: فإن أبيتم إلا الإعراض والكفر فقد أبلغتكم رسالة الله تعالى إليك، فما على الرسول إلا البلاغ، ويحق عليكم العذاب الذي توعد الله تعالى به من كفر به وكذب رسله، ثم يَسْتَبدِلُ ربِّي بكم قومًا غيرَكم، يُوحِّدونه ولا يشركون به شيئًا، ولا تقدرون على أن تضروا الله تعالى شيئًا.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾.

أي: إن ربي حفيظ لا يخفى عليه شيء، ولا يعزب عن علمه شيء، ولا يفوته أحدٌ أراده.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾. سورة هود: الآية/ ٥٨، ٥٩

يأتي الْأَمر فِي الْقُرْآن على ثَمَانِيَة عشر وَجها منها العذاب وهو المراد هنا؛ أي: ولما جاء عادًا العذاب، وهو ما أرسل الله عليهم من الريح العقيم، فأهلكتهم، ونجى الله تعالى هودًا عليه السلام ومن آمن معه برحمة خصهم الله تعالى بها، والتنكيرُ في لفظ: ﴿رحمةٍ﴾ لتعظيمِ شأنها، وقوله: ﴿مِنَّا﴾، لبيان عناية الله تعالى بهودٍ عليه السلام وبالمؤمنين معه.

﴿وَنَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ﴾.

التنكيرُ في: ﴿عَذابٍ﴾، للتعظيمِ، أي: ونجيناهم من عذابٍ أيِّ عذابٍ، ووصف العذاب بالغليظ كناية عن شدته، وعلى هذا يكون الإنجاء الأول سببه الإيمان، والثاني بيان أن الإنجاء كان من عذاب أي عذاب.

ويحتمل أن يكون الإنجاء الأول من العذاب الدنيوي، والإنجاء الثاني من العذاب الأخروي.

﴿وَتِلْكَ عادٌ﴾.

إشارةٌ إلى مساكنهم وآثارهم؛ حثًّا على الاعتبارِ بمصارعهم، وفي الإشارة إليهم بـ (تِلْكَ) التي للبعيد تحقيرًا لهم، ووصفًا لهم بالبعد من رحمة الله تعالى.

﴿جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾.

بيانٌ للوصفِ الذي استوجَبوا به العذابَ، وهو قولهم: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾، ولم يرسل لهم إلا نبي واحد لأن دعوة الرسل واحد، فمن كذب واحدًا فقد كذبهم جميعًا، ومن عصى واحدًا، فقد عصاهم جميعًا، وعدي الفعل: جحد بالباء لأنه ضمن معنى الكفر؛ أي: جحدوا آيات الله كافرين بها.

﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

أي: واتبعوا أمر كل طاغية من رؤسائهم وكبرائهم، والجبار الذي يجبر غيره ويقهره على اتباعه، والعنيد: الطاغية الذي يأبى الحق ولا يذعن له؛ أي: عصَوا مَن دعاهم إلى الإيمانِ وما ينجِيهم، وأطاعوا مَن دعاهم إلى الكُفر وما يُرديهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾. سورة هود: الآية/ ٦٠

يقول الله تعالى عن عادٍ: وأردفوا في الدنيا لعنةً تلحقهم وتصيبهم، ﴿وَيَوْمَ الْقِيامَةِ﴾، تصيبهم اللعنة وتلحقهم كذلك، واللعن: هو الإبعاد والطرد من رحمة الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ تعريضٌ بالمشركين ليعتبروا بمصارعِ الغابرين، لئلا يصيبهم بما أصاب عادًا.

﴿أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾.

(ألا) حرف تنبيه، افتتح الله تعالى به الجملة بالإعلان عن كفر عادٍ تهويلًا للخبر؛ أي: إن قد أتوا جرمًا عظيمًا منكرًا، وأكد الله تعالى الخبر بحرف إِنَّ لبيان علة إهلاكهم، وطردهم من رحمة الله تعالى.

﴿أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.

كرر التنبيه بقوله: (ألا) في الدعاء عليهم تهويلًا لأمرهم، وتفظيعًا لما كانوا عليه من الكفر والضلال.

وقوله: ﴿لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾؛ لإزالة الاشتباه وتعيين المراد بعادٍ التي تقدم الحديث عنها؛ وكانت عاد أمتين، فالأولى: القديمة وهم قوم هود، والثانية: هم إرم ذات العماد، فنسبهم إلى هودٍ لإزالة الاشتباه؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولى﴾.[1]

وأيضًا: المبالغة في التنصيص عليهم تدل على مزيد التأكيد.

١ - سورة النجم: الآية/ ٥٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾. سورة هود: الآية/ ٦١، ٦٢

يقولُ الله تعالى: وأرسَلنا إلى ثمودَ أخاهم صالحًا، أي: أخاهم في النسب فقال لهم: يا قومِ، اعْبدُوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، فلا معبود بحق سواه.

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾.

أي: هو الذي ابْتَدَأَ خَلْقَكم مِن الأرضِ، وإنما قال ذلك؛ لأنه خلَق آدمَ مِن الأرضِ، فخرَج الخطابُ لهم، وقد ذكر لهم في هذه الآية دليلًا من دلائل الربوبية، وهو دليل الخلق والإيجاد.

﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾.

أي: جعلكم عمارًا تسكنون الأرض في حياتكم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾؛ أي: أعاشكم .

وقال الضحاك: أطال عمركم .

وقال مجاهد: أعمركم، من العمرى.

وقال قتادة: أسكنكم فيها.

﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾.

أي: فاسألوه مغفرته بالإيمان به تعالى وحده.

﴿ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾.

فإذا أذنبتم بعد إيمانكم فبادروا إليه بالتوبة فإن ربي تبارك وتعالى قريب لمن سأله، وجيب لمن دعاه.

﴿قالُوا يَا صالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾.

أَي: قالوا يا صالح: قد كُنَّا نرجوا فِيك الْخَيْر، ونأمل منك النفع، والمشاورة في الأمور، والآن وقد خالفت ديننا فقد يئسنا من خيرك، ولا نرجو منك نفعًا.

﴿وَإِنَّنا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

سؤال الغرض من الإنكار عليه أن يعبد غير ما ألفوا من الأوثان التي عبدها آباؤهم.

﴿وَإِنَّنا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

الريبة: هي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة، أي: ونحن في شك واضراب وقلق مما تدعوا إليه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَما تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) وَيا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوها فَقالَ تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا صالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾. سورة هود: الآية/ ٦٣- ٦٦

أي: قال صالح عليه السلام لقومه: أعلمتم إن كنت على يقين وبرهان قاطع على صحة ما أدعوكم إليه من توحيد الله تعالى.

قال ابن عباس: على يقين وبصيرة ومعرفة من ربوبية ربي وعظمته.

﴿وَآتانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾.

أي: وآتاني النبوة والحكمة، وتقديم الجار لبيان أن النبوة منحة إلهية، وهبة ربانية، وأنها ليست بالاكتساب.

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾.

أي: فمن يمنعني من عذاب الله تعالى إن خالفت أمره، في تبليغ الرسالة ونهيكم عن عبادة الأوثان؟

﴿فَما تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾.

التخسير: التضليل والإبعاد من الخير؛ أي: فما تزيدونني بقولكم: ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: ٦٢]، إلا نسبتي إياكم إلى الخسارة.

قال مجاهد: ما تزادون أنتم إلا خسارًا.

وقال عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ: ﴿فَما تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: مَا يَزِيدُونَنِي إِلا شَرًّا وَخُسْرَانًا تَخْسَرُونَهُ.[1]

١ - رواه ابن أبي حاتم- حديث رقم: ١٠٩٨٥

والمعنى: أخبروني كيف سيكون حالي عند الله إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره، وأنا على حجة واضحة قطعية فيما أدعوكم إليه، وقد وهبني الله تعالى رحمة خاصة بأن جعلني نبيًّا، وأرسلني إليكم، وتريدونني أن أقركم على الكفر، وأعبد غير ربي، فمن يمنعني من عذابه تعالى إن خالفت أمره؟

وأتى بحرف الشك مع أنه على يقين أنه على بينة تنزلًا معهم في الخطاب؛ لأن خطابه للجاحدين.

﴿وَيا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها﴾.

قال لقومه ذلك لأنهم طلبوا منه أن يخرج ناقةً عشراء من صخرة، وأشاروا إليها، فدعا صالح عليه السلام فخرجت منها ناقة وولدت في الحال، فكانت الناقة دليلًا قاطعًا على صدقه، وبرهانًا ساطعًا على نبوته.

وأضاف النَّاقَةَ للَّهِ تعالى إضافة تشريفٍ للإعلام بمباينتها لما يجانسها، وأنها معجزة لنبي الله.

﴿فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ﴾.

أي: فدعوها تَأْكُل من العشب والنبات فِي أَرض الله فليس عليكم مؤنتها.

﴿وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ﴾.

أي: ولا تتعرضوا لها بعقر أو نحر فيأخذكم عذاب عاجل.

﴿فَعَقَرُوها فَقالَ تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

استمتعوا بالعيش ﴿فِي دارِكُمْ﴾ الدار هي جمع دارة، وَقيل الدَّار بِمَعْنى الديار، ويأتيكم الْعَذَاب بعد ثَلَاثَة أَيَّام، ذلك وعدٌ واقع ومتحقق لا محالة.

﴿فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا صالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

أي: فَلَمَّا آن أوان عذابهم وإهلاكهم بالصيحة، ﴿نَجَّيْنا صالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

أي: نجينا صالحًا ومن آمنه معه برحمة عظيمة مِنَّا رحمناهم بها، ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ وهو هلاكهم بالصيحة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾، أي: إن ربك هو القوي الذي لا يعجزه شيء، العزيز الذي لا يغالب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ (٦٧) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ﴾. سورة هود: الآية/ ٦٧- ٦٨

الأخذ في أصل اللغة التناول باليد، ثم استعمل في المعاني كأخذ الميثاق، وأخذ العهد، وفي الإهلاك كما في هذه الآية.

قيل: صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة واحِدَة فهلكوا عَن آخِرهم،

وقيل: الصَّيحَةُ صوت هائل الذي لا تحتمله القلوب، بل تنفطر منه وتنخلع به، فيموت من يسمعها.

وقال تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾، والصَّيْحَة مُؤَنّثَة، قيل: لأَن الصَّيْحَة هُنا بِمَعنى الصياح، قال ابن الأنباري: إنما ذكَّر ﴿وَأَخَذَ﴾؛ لأن الصيحة محمولة على الصياح.

والتأنيث هو الأصل، ويجوز التذكير إذا كان التأنيث غير حقيقي، لا سيما إذا وقع فاصلٌ بين الفعل والفاعل، ومثاله في القرآن: قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٩٤]، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ [الممتحنة: ٤]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، وقال: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٧]، والحاصل: أن ما كان تأنيثه ليس بحقيقي فتأنيثه وتذكيره جائز إن تقدم أو تأخر، وكان بينهما حائل أو لم يكن، وفي التأنيث الحقيقي يجوز تأنيثها بكل حال، ويجوز تذكيرها إذا تقدم الفعل وبينهما حائل؛ كقولهم: (حضر القاضي اليوم امرأة)، ولا يحسن بغير حائل.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ﴾.

أي: فأصبوا ساقطين على وجوههم مصعوقين، والجثوم للطائر كالبروك للبعير.

﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها﴾.

يقال: غني بالمكان إذا أقام فيه؛ أي: كأنهم في فنائهم وسرعة زوالهم، وعدم بقاء أحد منهم في ديارهم، لم يقيموا فيها يومًا.

﴿أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ﴾.

بيان للعلة التي من أجلها أهلكهم الله تعالى وهي الكفر، ﴿أَلا بُعْداً لِثَمُودَ﴾؛ أي: هلاكًا لثمودَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ﴾. سورة هود: الآية/ ٦٩، ٧٠

يقولُ الله تعالى: ولقد جاءت رسلُنا مِن الملائكةِ إبراهيم عليه السلام خليلَ الرحمن بالبشارةِ من الله تعالى، واختلَفَ المفسرون في تلك البشارةِ المذكورة في هذا الموضع فقيل: هي البِشارةُ بإسحاقَ ومن ورائه يعقوب؛ لقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، وقيل: هي البِشارةُ بهلاكِ قومِ لوطٍ.

﴿قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾.

أي: قَالُوا: سلمنَا سَلامًا ﴿قالَ سَلامٌ﴾؛ أي: جوابي سَلام، ﴿فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾؛ أي: فما مكَثَ بسبب التَّعجيل حتى جاء بعجلٍ مشوي، وحنيذ فعيل بمعنى مفعول أي: محنوذ وهو المشوي بالحجارة.

﴿فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾.

﴿نَكِرَهُمْ﴾، أَي: أنكرهم، قَالَ الشَّاعِر

فأنكرتني وَمَا كَانَ الَّذِي نكرت **** من الْحَوَادِث إِلَّا الشيب والصلعا

أي: فلما رأى أيديهم لا تمتد إلى الطعام الذي صنعه لهم أنكرهم؛ لأنه كان يظنهم أضيافًا فلما لم يأكلوا من الطعام أنكر أن يكونوا أضيافًا.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.

(الإيجاس) شيء من الإحساس، أي أحس في نفسه خيفة منهم وأضمر ذلك، ويقال: توجّس الصّوت: تسمّعه. وأوجس كذا: أي: أضمره.

﴿قالُوا لا تَخَفْ﴾.

قالوا: لا تخف. لما ظهر على وجهه من علامات الخوف، وبيانه ذلك لهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾.[1]

﴿إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ﴾.

أي: إِنَّا مَلَائِكَة أرسلنَا رَبنَا إِلَى قوم لوط لإهلاكهم.

١ - سورة الحجر: الآية/ ٥١- ٥٣

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قالَتْ يا وَيْلَتى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهذا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾. سورة هود: الآية/ ٧١، ٧٢

وكان من تمام خدمة أضياف إبراهيم عليه السلام قيامه وقيام امرأته سارة على خدمتهم، فلما بشرتها الملائكة بإسحاق ضَحِكَت تعَجُّبًا من أن يكونَ لها ولدٌ على كِبرِ سنِّها وسنِّ زوجها، وعلى هذا يكون في الكلام تقديمًا وتأخيرًا؛ فيكون المعنى: وامرأته قائمة فبشرناها بِإسحاقَ وَمِن وَراءِ إسحاقَ يَعقُوبَ فضحكت.

ودلَّ على هذا قول الله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَها وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات:٢٨، ٢٩]، فكان ضحكها تعجبًا من الإنجاب على الكبر، ومع العقم.

وقيل: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم.

﴿فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ﴾.

أي: فوَهَبْنا لها إسحاقَ وبشرناها به وقد انقطعت أسباب الإنجاب عندها وعند زوجها، وبشرناها بيعقوب كذلك من وراء إسحاق.

قال الشعبيُّ في قولِه: ﴿فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ﴾. قال: الوراءُ هو ولدُ الولدِ.

قيل: فائدة البشارة بيعقوب بعد إسحاق أنه سيعيش حتى ينجب يعقوب، ويكون له نسل.

قال أبو حفص النسفي: ودلَّت الآيةُ أنَّ الذَّبيح هو إسماعيل، فإنَّ الله تعالى بشَّر إبراهيم عليه السلام بأن يكون لإسحاق ولدٌ، وكان يعلمُ أنَّه لا يموت حتَّى يُولَد له ذلك، فلا يكون على هذا في الأمرِ بذبح هذا الولد امتحانٌ؛ إذ يعلم أنَّه لا يتحقَّق فيه الذَّبح للحال، فتعيَّن للابتلاء الولد الآخر؛ وهو إسماعيل.[1]

١ - التيسير في التفسير- لأبي حفص النسفي (٨/ ٢٣٨)

﴿قالَتْ يا وَيْلَتى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهذا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

الأصل: يا ويلتي، وأبدلت الألف من ياء الإضافة، قال ذلك تعجبًا كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب، وليس المقصود بتلك الكلمة الدعاء على نفسها؛ بدليل قول الملائكة لها: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾. سورة هود: الآية/ ٧٣- ٧٦

أي: قالت الملائكة عليهم السلام لسارة عليها السلام حين ظهرت منها علامات التعجب من صيحتها وصكها لوجهها، حين سمعت البشارة؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَها وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩]، وقولها: ﴿يا وَيْلَتى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهذا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾. قالت الملائكة: ﴿قالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، والله تعالى لا يعجزه شيءٌ.

﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾.

يحتمِلُ أن يكون إخبارًا من الملائكة؛ أي: أنتم أهلُ بيتٍ نزَّل الله عليكم الرَّحمة والبركات بما آتاكم مِن النُّبوَّة والرسالة.

ويحتمل أن يكون دعاءً لهم بإنزال الرحمة والبركة عليهم.

﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾.

أي: محمودٌ لذاته تعالى ومحمود على نعمِه التي أنعم بها على خلقِه، وله المجد في السماوات والأرض، فأنتم أولى برحمته وبركاته إذ كنتم أهل خُلَّته وموالاته.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾.

الرَّوْعُ: الفزع، يقال: راعني هذا الأمرُ يَرُوعني، وارتَعْت له، وروَّعَني فتروَّعْت وارتعْت مِنْهُ، وروَّعته فتروَّع.

أي: فلما ذهب عن إبراهيم الفزع الذي أصابه حين رأي أيديهم لا تمتد إلى طعامه، وجاءته البشرى بإسحاق جعل يجادل الملائكة في قوم لوط؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (٣١) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ﴾.[1]

١ - سورة العنكبوت: الآية/ ٣١، ٣٢

وقوله تعالى: ﴿يُجَادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾؛ أي: جعل يجادلنا في قوم لوط حرصًا على إيمانهم ونجاتهم.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾.

الحليمُ: البطيءُ الغضبِ، والأوَّاه: كثير التأوّه، والمنيب: كثير الرجوع إلى اللَّهِ جل جلاله، وذكر أوصاف إبراهيم الخليل عليه السلام بيان للعلة التي من أجلها جادل الملائكة في قوم لوط لحلمه ورقته وكثرة رجوعه لله تعالى.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾.

قيل له: يا إبراهيم تولَّ عن هذا الجِدال فإنَّ أمر الله تعالى بعذابهم نزلَ بهم.

﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

أي: وإنهم سيأتيهم عذابٌ لا يُرَدُّ عنهم ولا يُدفَع بالشَّفاعة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ قالَ يَا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾. سورة هود: الآية/ ٧٣- ٧٥

يخبر الله تعالى أن الملائكة عليهم السلام حين جاءوا لوطًا على هيئة غلمان حسان الوجوه، سِيءَ بهم وأحزنه ذلك لما يعلم ما عليه قومه من الشر والفساد.

﴿وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً﴾.

أي: وضاق بهم صَدْرُه، يقال: ضاق فلان ذرعًا بكذا: إذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه.

قال الأزهري: والذَرْع يوضع مَوضِع الطَّاقَة. وَالْأَصْل فِيهِ أَن يَذْرَع البَعِيرُ بيدَيْهِ فِي سَيره ذَرْعاً على قَدْر سَعَة خَطْوه، فَإِذا حَملته على أَكثر من طَوْقه قلت: قد أبطرت بعيرك ذَرْعَه، أَي حَملته من السّير على أَكثر من طاقته حَتَّى يَبْطَر ويَمُدَّ عُنُقه ضَعْفًا عمَّا حُمِل عَلَيْهِ.[1]

﴿وَقالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.

قال أبو عبيدة: العصيب: الشديد الذي يعصب الناس بالشر، وأنشد:

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الأَبْطَالا **** عَصْبَ القويّ السَّلَمَ الطِّوالا

قال ذلك لأنه أشفق عليهم من قومه أن يريدوهم بالفاحشة.

﴿وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ﴾.

أي: وجاءه قومه يسرعون ويهرولون في مشيتهم فرحين بما يعدونه غنيمة، ﴿وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ﴾، أي: ومن قبل مجيئهم كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أي: الفواحش فمرنوا عليها، وكانت سجيتهم فقلّ عندهم استقباحها، فلذلك جاءوا مسرعين مجاهرين، لا يكفّهم حياء.

---

١ - تهذيب اللغة (٢/ ١٨٩)

﴿قالَ يَا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾.

قال لوط لقومه: ﴿هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، يعني نِسَاءَهُمْ، تذكيرًا لهم بما يجب أن يكونوا عليه من سلامة الفطرة، وسماهن بَنَات نَفسه؛ لِأَن النَّبِي للْأمة بِمَنْزِلَة الْأَب؛ وَفِي قِرَاءَة أبي بن كَعْب: ﴿النَّبِي أولى بِالْمُؤْمِنِينَ من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وَهُوَ أَب لَهُم﴾، وَهُوَ قَول مُجَاهِد، وَسَعِيد بن جُبَير، وَغَيرهمَا، وهو أولى من قول من قال: عرض عليهم ابنتيه.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾.

خَافُوا الله لا تسؤوني ولا تفضحوني فِي أضيافي.

﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾.

أي: أليس منكم رجلٌ صالحٌ سديدٌ، مؤمنٌ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾. سورة هود: الآية/ ٧٩، ٨٠

أي: قالوا لقد علمت ما لنا في النساء رغبة ولا عندنا لهن شهوة، وإنك لتعلم ما نريد أي: الرجال.

﴿قالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾.

قال المفسرون: أغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار، وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب، وهم يدفعون الباب، فقال لوط: ﴿قالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، قال ابن عباس: لو أن معي جماعة أقوى بها عليكم.

﴿أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾.

قال قتادةُ قولَه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾. قال: يعني به العشيرةَ

وقال ابنُ إسحاقَ: أي: عشيرةٍ تَمْنَعُني أو شيعةٍ تَنْصُرُني، لحَلْتُ بينَكم وبينَ هذا.

وجواب لو محذوف تقديره: لمنعتكم مما تريدون من الفاحشة، وحلت بينكم وبين المعصية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ «يَغْفِرُ اللهُ لِلُوطٍ إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ».[1]

وفي رواية عَنْه رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "قَالَ لُوطٌ: لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً، أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ" قَالَ: "قَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَكِنَّهُ عَنَى عَشِيرَتَهُ، فَمَا بَعَثَ اللهُ عز وجل بَعْدَهُ نَبِيًّا، إِلَّا بَعَثَهُ فِي ذَرْوَةِ قَوْمِهِ". قَالَ أَبُو عُمَرَ: فَمَا بَعَثَ اللهُ عز وجل نَبِيًّا بَعْدَهُ، إِلَّا فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ".[2]

١ - رواه البخاري-كتاب أحاديث الأنبياء، بَابٌ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، حديث رقم: ٣٣٧٥، ومسلم-كتابُ الفضائِلِ، بَابٌ: مِن فَضائِلِ إبراهِيمَ الخَلِيلِ صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ١٥١

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٠٩٠٣، بسند صحيح

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَاّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها مَا أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾. سورة هود: الآية/ ٨١

﴿قالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾.

أي: قالت الملائكة: يا لوط إنَّ ركنَك لشديدٌ، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود، وإنَّا رسل ربك لن يصلوا إليك بسوء ولن يصيبك منهم مكروه، فافتح الباب، فلما فتح الباب ضرب جبريل عليه السلام وجوههم بجناحه، فطمس أعينهم وأعماهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾.[1]

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾.

السُّرَى: هُوَ السّير بِاللَّيْلِ، قالت الملائكة للوط عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾، أي: سر بهم ببقية من الليل؛ كما قيل:

عِنْد الصَّباح يحمد الْقَوْم السُّرَى **** وتنجلي عني غيابات الْكرَى

قال ابن عباس: يقول للوط أَتبع آثار بناتك وأهلك لئلا يتخلف منهم أحد فينالَه العذاب.

﴿وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾.

قيل: حتى لا يرتاعوا من العذاب إذا نزل بقومهم، وقيل: حتى لا تتعلق قلوبهم بتلك البقعة التي أراد الله أهلها بالعذاب، وحتى لا يكون في قلوبهم شيء من الشفقة على قومهم إذا نزل بهم العذاب.

﴿إِلَاّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها مَا أَصابَهُمْ﴾.

استثناءٌ من قولِهِ تعالى ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾، قيل: المراد من النهي عن الالتفاتِ التخلفِ لا النظرِ إلى الخلفِ؛ لقراءة أبي عمرو وابن كثير: ﴿إِلَاّ امْرَأَتُكَ﴾، أي: لا يلتفتْ منكم أحدٌ إلا امرأتُك، فإنها تلتفتُ فتهلكُ.

١ – سورة القمر: الآية/ ٣٧

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

أي: إن موعد هلاكهم الصبح، وكأنه استبطأ هلاكهم فقالوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾. سورة هود: الآية/ ٨٢، ٨٣

أي: فلما جاء أمرنا بعذابهم، جعلنا عالي قرى قوم لوط سافلها، رُوِيَ أَن جِبْرِيل عليه السلام جعل جنَاحه تَحت مدائن قوم لوط، وَهِي خمس مَدَائِن، ثمَّ رفعها إِلَى السَّمَاء، ثمَّ قَلبهَا وأتبعهم الله تَعَالَى بِالْحِجَارَةِ؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ [النجم: ٥٣]، وكما قال تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.[1]

﴿وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾.

أي: وأمطرنا عليها حِجَارَةً مِنْ طِينٍ متحجّرٍ شَدِيدٍ؛ كما قَالَ تعالى: ﴿حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [الذَّارِيَاتِ:٣٣]، وقيل لفظ: ﴿سِجِّيلٍ﴾، فارسي معرب وأصله: (سَنْكٍ) وَهُوَ الْحَجَرُ، وَ(كِلْ) وَهُوَ الطِّينُ، و ﴿مَنْضُودٍ﴾؛ أي: متتابع، يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم.

وجمع لهم الائتفاك والمطر بالحجارة زيادة في إهانتهم.

وقيل: كان الائتفاك لمن كان في القرى، والمطر لمن كان خارجها، في بعض حوائجه.

﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

أي: معلمة مختومة، عليها أسماء أصحابها، في خزائن الله التي لا يتصرَّفُ فيها غيرهُ.

﴿وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

تعريض بمشركي قريش؛ لكفرهم بالله تعالى وتكذيبهم لرسولهم صلى الله عليه وسلم.

١ – سورة الذاريات: الآية/ ٣٣، ٣٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾. سورة هود: الآية/ ٨٤

يقول الله تعالى: وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبًا، والتقدير: وإلى أهل مدين.

يخبر الله تعالى أنه أرسل إليهم شعيبًا عليه السلام يأمرهم بتوحيد الله تعالى وينهاهم عن الشرك به تعالى.

﴿وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾

نهي عن تلك الخصلة القبيحة التي تدل علا الجشع، والشَّرَهِ الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان عند البيع والشراء.

﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾

أي: إني أراكم بثروة وسعة في الرزق تغنيكم عن التطفيف، فلا تغيروا نعمة الله عليكم بمعصيته وأخذ أموال الناس بغير حق.

ونقص المكيال يكون بالنقص في الإيفاء من القدر الواجب، والزيادة في الاستيفاء على القدر الواجب فيلزم في كلا الحالين نقصان حق الغير؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.[1]

﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾.

وصف اليوم بالإحاطة والمراد: العذاب؛ لأن العذاب واقع في ذلك اليوم؛ أي: وإني أخاف عليكم عذابًا يحيط بكم ويستأصل شأفتكم.

١ - سورة المطففين: الآية/ ٢، ٣

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٦) قالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾. سورة هود: الآية/ ٨٥- ٨٧

الأمر بالإيفاء بعد النهي عن النقص لدفع توهم النهي عن أصل المبايعة، وأمر بإيفاء الكيل على النعت المستحسن في العقول، وقوله تعالى: ﴿بِالْقِسْطِ﴾، بيانٌ أن ما جاوز العدل ليس بواجب بل هو فضل ومروءة.

﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ﴾.

البخسُ: النقصُ، يقال: بَخَسَهُ حَقَّهُ إذا نَقَصَهُ منه، الكلام فيه ترقٍ من الأدنى إلى الأعلى فقد نهى عن البخس نهيًا عامًّا بعد تخصيصه بالكيل والميزان ليشمل كل ما بأيدي الناس مما يكال ويوزن وغيره، وهو كذلك من باب ذكر العام بعد الخاص.

﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

قال صاحب البحر المحيط: نهوا أولًا: عن القبيح الذي كانوا يتعاطونه وهو نقص المكيال والميزان، وفي التصريح بالنهي نعي على المنهي وتعيير له. وأمروا ثانيا: بإيفائهما مصرحًا بلفظهما ترغيبًا في الإيفاء، وبعثًا عليه، وجيء بالقسط ليكون الإيفاء على جهة العدل والتسوية وهو الواجب؛ لأن ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب إليه. ونهوا ثالثًا: عن نقص الناس أشياءهم، وهو عام في الناس، وفيما بأيديهم من الأشياء كانت مما تكال وتوزن أو غير ذلك. ونهوا رابعًا: عن الفساد في الأرض وهو أعم من أن يكون نقصًا أو غيره، فبدأهم أولًا بالمعصية الشنيعة التي كانوا عليها بعد الأمر بعبادة الله، ثم ارتقى إلى عام، ثم إلى أعم منه وذلك مبالغة في النصح لهم ولطف في استدراجهم إلى طاعة الله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أي: ما أبْقاه اللهُ لكم بعدَ أن توفُّوا الناسَ حقوقَهم، بالمكيالِ والميزانِ بالقسطِ، فأحلَّه لكم، خيرٌ لكم من بخسكم أموال الناس إن كنتم مؤمنين؛ قال الحسن في قوله: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾. رزق الله خير لكم من بخسكم الناس.

﴿وما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾.

أي: وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم، وأمنعكم من البخس.

﴿قالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آباؤُنا﴾.

قال أهل مدين لشعيب عليه السلام ساخرين منه ومن صلاته، ومستهزئين به وبدينه: يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك عباد الأوثان التي توارثناها عن آبائنا، وكان قد أمرهم بتوحيد الله تعالى ونهاهم عن الشرك به، وقصدوا بالصلاة الدين؛ لأنها أعظم أركان الدين العملية، وأظهر شعائره؛ قال ابن عباس: يريدون دينك يأمرك فكنى عن الدين بالصلاة لأنها من أمر الدين.

﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا﴾.

أي: أتأمرك صلاتك ألا نفعل في أموالنا ما نشاء، من نقص الكيل والميزان وبخس الناس أشياءهم، ظن أولئك السفهاء أن الدين هو ما توارثوه عن آبائهم، وأن الدين بمعزل عن حياة الناس، كما يتوهم كثير من الجهال؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.[1]

ورُوي عن ابن عباس قال: كان شعيب كثير الصلاة لذلك قالوا هذا.

قال سفيان: ﴿قالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧]، قال: فقال سفيان: أي والله، تأمره وتنهاه.

قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف: ﴿أَصَلاتُكَ﴾ على الإفراد، وقرأ الباقون: ﴿أَصَلواتُكَ﴾، بالجمع هنا وفي قوله: ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ وتوجيه ذلك كما قال

١ - سورة العنكبوت: الآية/ ٤٥

أبو علي الفارسي: الصلاة مصدر يقع على الجميع والمفرد بلفظ واحد؛ كقوله سبحانه: ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، فإذا اختلفت جاز أن يجمع، لاختلاف ضروبه، كما قال: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، ومن المفرد الذي يراد به الجميع قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾.

قالوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء بنبي الله شعيب عليه السلام، وصفوه بالحلم والرشد تهكمًا به، وإنما أرادوا بذلك وصفَه بضدّيهما؛ كما تقول ملائكة العذاب للكافر للمتكبر يوم القيامة: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.[1]

١ - سورة الدخان: الآية/ ٤٩

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى مَا أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَاّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلَاّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾. سورة هود: الآية/ ٨٨

قال شعيب عليه السلام: يا قوم أرأيتم على يقين وبصيرة ومعرفة من ربي فيما أدعوكم إليه من توحيد الله تعالى، وترك ما يعبد من دونه من الأوثان التي لا تنفع ولا تضر، ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً﴾، ورزقني الله تعالى من عنده رزقًا حلالًا طيبًا ليس فيه بخس ولا تطفيف، وقيل: الرزق الحسن ما رزقه الله من النبوّة والحكمة.

وجواب أرأيتم محذوف تقديره: أأترك تبليغ الرسالة، وأضل عن أمر ربي كما ضللتم؟

﴿وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى مَا أَنْهاكُمْ عَنْهُ﴾.

ولا أريد أن ارتكب محظورًا نهيتكم عنه بل أنا أول من يمتثل أمر الله تعالى.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَاّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾.

أي: ما أريد به من الأمر بالوفاء في الكيل والميزان ومن النهي عن التطفيف وبخس الناس أموالهم إلا أن تصلحوا دنياكم بالعدل وآخرتكم بتوحيد الله تعالى وعبادته وحده دون سواه، ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

﴿وَما تَوْفِيقِي إِلَاّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

أي: وما سدادي ورشدي إلا بمعونة الله تعالى وحسن توفيقه، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾؛ أي: عليه اعتمدت فهو الكافي، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾. أي: وإليه أرجع فيما ينزل بي من جميع النوائب، وتقديم الجار والمجرور في الموضعين للتخصيص؛ أي: فلا أعتمد إلا عليه، ولا أنيب لأحد سواه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالِحٍ وَما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾. سورة هود: الآية/ ٨٨- ٩٠

قال شعيب عليه السلام: يا قوم لا يحملنكم خلافي عداوتي وبغضي على فعل ما أنهاكم عنه من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، وبخس الناس المكيال والميزان.

﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالِحٍ﴾.

أي: لا تجعلوا عداوتك لي سببا في إصراركم على الكفر وإقامتكم على الضلال فيصيبكم ما أصاب الأمم السابقة حين أصروا على الكفر واستكبروا عن الانقياد للحق، كقوم نوح الذين أهلكوا بالغرق، أو قوم هود الذين أهلكوا بالريح العقيم، أو قوم صالح الذين أهلكوا بالصيحة.

﴿وَما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾.

أي: وليست قرى قوم لوط ببعيدة من مكانكم، ويحتمل وليس زمانهم ببعيد من زمانكم، ويحتمل وليسوا منكم ببعيد في السبب الموجب لعقوبتكم، فقد كفرتكم بالله كما كفروا وكذبتم رسولكم كما كذبوا.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

ثم دعاهم إلى الاستغفار من الكفر وعبادة الأوثان، والتوبة إلى الله تعالى من بخس المكيال والميزان، ثم بين لهم سعة رحمة الله تعالى وأنه تعالى يرحم من أقبل عليه، ويغفر لمن استغفره، ويحب من تاب من عباده، ودود صيغة مبالغة من المودة، والود خالص المحبة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ وَما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ (٩١) قالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾. سورة هود: الآية/ ٩١، ٩٢

قالوا يا شعيب ما نَفْقَهُ أي: ما نفهم كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ؛ لأنهم كانوا لا ينصتون إليه، ولا يستمعون إليه استماع مسترشد، بل كانوا يرغبون عنه كراهية له؛ كما قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قالَ آنِفاً﴾.[1]

﴿وَإِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً﴾.

أي: ليس لك من الأتباع من يحوطك ويدفع عنك؛ كما قال هارون عليه السلام: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾.[2]

﴿وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ﴾.

رهط الرجل جماعته وعشيرته الذين يتقوى بهم، يقولون: ولولا رهطك مكرمون عندنا لمولاتهم لنا لقتلناك رميًا بالحجارة، والرجم بالحجارة أسوأ القتل وأشنعه.

﴿وَما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ﴾.

أي: وما أنت عندنا مُكْرَمٌ مُحْتَرَمٌ حتى نمتنع من رجمك، وإنما نكفُ لما لرهطك الذين ثبتوا على ديننا من الحرمة.

﴿قالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾.

استفهام الغرض منه الإنكار، أي: أتهابون قومي وتوقرونهم ولا توقرون الله تعالى، وهو القوي العزيز؟

﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾.

أي: ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به.

---

١ - سورة محمد: الآية/ ١٦

٢ - سورة الأعراف: الآية/ ١٥٠

قال ابن عباس: يريد ألقيتموه خلف ظهوركم وامتنعتم من قتلي مخافة قومي والله أعز وأكبر من جميع خلقه.

﴿إِنَّ رَبِّي بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

تهديد ووعيد لهم بأن الله تعالى يحيط بأقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه منها شيء.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) وَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ (٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾. سورة هود: الآية/ ٩٣- ٩٥

المكانة: هِيَ الحَالة التِي يتَمَكَّن فِيهَا المرء من الفعل. يقول لهم: اعملوا ما تستطيعون فعله، إِنِّي عَامل على تمكني ومنزلتي.

قال ابن عباس: يريد اعملوا ما أنتم عاملون.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ﴾.

سوف تعلمون من يأتِيهِ عَذَاب يذله ويفضحه، وسوف تعلمون الكاذب في دعواه، وهو تهديد ووعيد لهم.

﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾.

أي: وانتظروا العاقبة وما أقول لكم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾؛ أي: منتظر والرقيب بمعنى المرتقب.

﴿وَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ﴾.

صَاح جبريل بهم عليه السلام صَيْحَة وَاحِدَة فماتوا عَن آخِرهم، فَأَصْبحُوا فِي دِيَارهمْ خامدين، لَا يتحركون.

﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

كَأَن لم يَكُونُوا مقيمين بها يومًا من الدهر، وكأنهم لم يكونوا منعمين فِيهَا.

﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

أَلا هلاكًا وتبابًا لمدين وبُعدًا من رحمة الله كَمَا هَلَكت وبَعِدَتْ ثَمُود.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَسُلْطانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾. سورة هود: الآية/ ٩٦- ٩٩

يخبر الله تعالى أنه أرسل موسى عليه السلام بآياته البينات والمراد بها التوراة وما فيها من الأوامر والنواهي، وسلطان مبين أي: وحجة قاطعة، وبرهان ساطع على صدق نبوته والمراد بها المعجزات التي أيد الله تعلى بها موسى عليه السلام.

﴿إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

أي: إلى ملك مصر الذي طغى وتكبر وادعى الربوبية، وإلى كبراء قومه ممن اتبعه على ضلاله ورضي بكفره وعناده، فاتبعوا أمر فرعون حين أمرهم بالكفر، على سفاهة عقله وفساد رأيه، خلافًا لما كان يزعم؛ كما قال الله تعالى: ﴿قالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَاّ مَا أَرى وَما أَهْدِيكُمْ إِلَاّ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾ [غافر: ٢٩]، كما يزعم الطغاة والجبارون في كل عصرٍ ومصرٍ، وليس له من الهدى ولا الرشاد حظ ولا نصيب.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾.

ثم طوى الله تعالى هنا ما دار بينه وبين موسى عليه السلام، وما كان فيه فرعون من الملك والنعيم، وما فعله من القتل والتعذيب لبني إسرائيل، وكيف أهلكه الله تعالى بالغرق، كأنما هي لمحة بالبصر، وأنه أحقر وأذل من أن يذكر، وأخبر الله تعالى عن حاله وحال أتباعه يوم القيامة، فقال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾، فكما كان مقدمهم وكانوا أتباعًا له في الدنيا، يأتي يوم القيامة أمامهم، ويأتون خلفه أذلة صاغرين، حتى يوردهم حياض العذاب، وموارد الهلاك، كالبهائم التي تسعى إلى حتفها بظلفها، وتسير خلف راعيها بلا عقل ولا تمييز، وجيء بالكلام بلفظ الماضي لحتمية وقوعه وأنه لا شك فيه؛ ولأنهم يردون النار في البرزخ إلى قيام الساعة؛ كما قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ﴾.[1]

١ - سورة غافر: الآية/ ٤٦

﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾.

لأن الموارد إنما تراد لبل الصدى وإرواء الظمأ، وهذا الورد للعذاب والإحراق بالنيران.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾.

وهم مع ما ينتظرهم في الآخر من العذاب العظيم أتبعوا في هذه الحياة الدنيا لعنة، فلا يذكرون إلا وتصحبهم اللعنة، ويوم القيامة بئس العطاء المعطى لهم؛ لأنه أشد العذاب، وذكر الورد المورود، والرفد المرفود تهكما وسخرية واستهزاء بهم كما كانوا يسخرون بنبي الله موسى عليه السلام والمؤمنين.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْقُرى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْها قائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَما زادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خافَ عَذابَ الْآخِرَةِ ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣) وَما نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾. سورة هود: الآية/ ١٠٠- ١٠٤

ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من الأمم السابقة وما حل بهم من العذاب من جراء كفرهم بالله تعالى وتكذيبهم لرسلهم.

﴿مِنْها قائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾.

أي: من تلك القرى ما هو ﴿قائِمٌ﴾: له آثار تُرَى تدل على هلاك تلك القرى، و ﴿وَحَصِيدٌ﴾: لا يُرى له أثرٌ.

وقال مجاهد: ﴿قائِمٌ﴾؛ أي: خاوية على عروشها، و ﴿وَحَصِيدٌ﴾: مستأصَل.

﴿وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.

أي: ما أخذناهم بغيرِ ذنبٍ، ولكن ظلموا أنفسَهم بالكفر وعبادة غير الله وتكذيب الرُّسل.

﴿فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾.

أي: فما نفعَتْهم، أصنامهم الَّتي اعتقدوها آلهةً معبودة وما دفعت عنهم بأس الله حين جاءهم.

﴿وَما زادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾.

أي: وما زادَتْهم الأصنام إلَّا الهلاك؛ لأنَّ عبادتهم إيَّاها سبب هلاكهم.

﴿وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

أي: وكما أخذنا تلك القرى الَّتي تقدم ذكرها، نأخذ ما شاكلها من القرى إذا ظلمت بالشِّرك، وفيه تعريض بمشركي قريش، إن أخذ الله تعالى مؤلم شديد الوقع لا يحتمله مخلوق.

﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خافَ عَذابَ الْآخِرَةِ﴾.

أي: إن فيما قصه الله تعالى من قصص الأمم الهالكة بسبب كفرهم بالله تعالى لعبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة.

﴿ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾.

أي: ذلك العذاب كائن في يومٍ يُجمَع فيه النَّاس، ويشهده الخلائق جميعًا.

﴿وَما نُؤَخِّرُهُ إِلَاّ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾.

أي: وما نؤخِّر ذلك اليومَ إلَّا لأجلٍ له وقتٌ معلومُ العددِ مقدرٌ لا يتقدَّم ولا يتأخَّر.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَاّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خالِدِينَ فِيها مَا دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلَاّ مَا شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ﴾. سورة هود: الآية/ ١٠٥- ١٠٧

لما قال الله تعالى في الآية السابقة: ﴿ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾، ذكر الله تعالى شيئًا من أهوال ذلك اليوم فقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَاّ بِإِذْنِهِ﴾؛ أي: حين يأتي ذلك اليوم الذي يُجمَعُ فيه الناس لا تتكلم نفس إلا بإذن الله تعالى، والعرب تطلق في كلامها لفظ (يوم) و (ليلة) على جزء من زمانهما ليلًا كان أو نهارًا توسعًا، ويريدون بذلك معنى (حين).

والضمير في بإذنه عائد إلى الله؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَقالَ صَواباً﴾.[1]

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.

أي: فمن الأنفس شقي وهو من كتبت عليه الشقاوة، ومنهم سعيد وهو من كتبت له السعادة، وتقديم الشقي على السعيد لأن المقام مقام تحذير، وهذا ما يسميه علماء البيان بالتقسيم؛ لأن الناس يومئذ صنفان لا ثالث لهما.

عَنْ عُمَرَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا نَعْمَلُ أَشَيْءٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ أَمْ شَيْءٌ نَسْتَأْنِفُهُ؟ قَالَ: «بَلْ شَيْءٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ». قَالُوا: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».[2]

١ - سورة النبإ: الآية/ ٣٨

٢ - رواه عبد بن حميد في مسنده- انظر المنتخب، حديث رقم: ٢٠، البزار- حديث رقم: ١٦٨، وابن أبي عاصم- بَابُ ذِكْرِ قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالطَّبْعِ وَالْجَبْلِ وَالْخَيْرِ، حديث رقم: ١٨١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾.

يقول تعالى: فأمَّا الذين كتبت عليه الشقاوة فالنار مأواهم، لا يتكلمون فيها، وإنما لهم في النار زفير وشيق، والزَّفير: إخراج النَّفَس، والشَّهيق: ردُّ النَّفَس، وإنما ذكر الله تعالى الزفير والشهيق لشدة ما يعانونه من العذاب، يرتفع النفس عند إخراجه وعند ردِّه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿خالِدِينَ فِيها مَا دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلَاّ مَا شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلَاّ مَا شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَاّ كَما يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾. سورة هود: الآية/ ١٠٧- ١٠٩

﴿خالِدِينَ فِيها مَا دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلَاّ مَا شاءَ رَبُّكَ﴾.

اختلف العلماء في المراد بهذه الآية على عدة أقوال منها: أنَّ المراد مُدَّة بَقَاء السَّمَوَات وَالْأَرْض، وَقَوله: ﴿إِلَاّ مَا شاءَ رَبُّكَ﴾ مَعْنَاهُ: سوى مَا شَاءَ رَبك من الزِّيَادَة على مُدَّة بقائهما.

وقيل: المراد: مَا دَامَ سماوات الْجنَّة وأرضها. وَقَوله: ﴿إِلَاّ مَا شاءَ رَبُّكَ﴾ الِاسْتِثْنَاء وَاقِف على زمَان الْوُقُوف فِي الْقِيَامَة وَمُدَّة الْمكْث فِي الْقَبْر.

وقيل: قوله تعالى: ﴿مَا دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ﴾: كلمةٌ تُذْكَر للتَّأبيد؛ كقولك: لا أكلِّمك ما أورق الشَّجر، وما أينع الثَّمرُ، وما جنَّ ليلٌ، وما طرَقَ طارقٌ، وما نطَقَ ناطقٌ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ﴾.

أي: أمره نافذ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ﴾.

أي: وأما الذين كتب الله تعالى لهم السعادة ففي الجنة مقامهم خالدين فيها خلودًا دائما لا انقطاع له.

﴿إِلَاّ مَا شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

قال المفسرون: هذا استثناء لا يفعله الله تعالى، ودل عليه قوله تعالى بعده: ﴿عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾؛ أي: غير مقطوعٍ، يقال: جَذَّ النخل؛ أي: قطعه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ [الأنبياء: ٥٨]؛ أي: قِطعًا.

﴿فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَاّ كَما يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾.

أي: فلا تكُ يا محمد صلى الله عليه وسلم في شكٍّ مما يعبدُ هؤلاء المشركون مِن دون الله أنَّه باطل، فإنَّهم إنما أخذوا دينهم من آبائهم الأقدمين؛ وليس عندهم عليه أثارة من علم.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾.

وعد بالجزاء لمن آمن بالله وصدق رسل الله عليهم السلام، ووعيد لمن كفر بالله وكذب رسل الله عليهم السلام أن يوفيهم نصيبهم بِلَا نُقصَان، قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: نصيبَهم مِن خيرٍ أو شرٍّ.

وقال: ﴿نَصِيبَهُمْ﴾. بالإفراد لأنه اسم جنس يصلح للجمع والمفرد.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١١٠) وَإِنَّ كُلاًّ لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمالَهُمْ إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. سورة هود: الآية/ ١١٠، ١١١

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما كذب المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجحدوا رسالته، وكذبوا القرآن، بين الله تعالى هنا أن هذا حال الكفار في كل الأمم ومن ذلك اختلاف الناس في التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام بين مصدق ومكذب، ومؤمن وكافر.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾.

اللام هنا هي الموطئة للقسم؛ أي: والله لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به بعضُهم، وكفرَ بعضُهم، وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، فإن اختلفوا فيما أنزل عليك، فلا تحزن ولا تأسى عليهم، فقد اختلف فيما أنزل على من قبلك.

﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾.

يقول تعالى: ولولا كلمة سبقت من ربك يا محمد، بتأخير هذه الأمة، وأنه لا يهلكهم بالعذاب كما أهلك الذين من قبلهم، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾، بنزول العذاب، وتعجيل العقوبة للمكذبين ولكن يمهلهم حتى يبلغ الكتاب أجله، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾.[1]

﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾.

يعني وإن المشركين لفي شك من القرآن موقع للريبة.

﴿وَإِنَّ كُلاًّ لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمالَهُمْ إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

أي: وإنّ كلاّ من الفريقين المصدّق والمكذّب يجتمعان يوم القيامة فيوفّيهم ربّك، أَعمالهم على التمام، إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌ، ﴿إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، وهو تعالى خبيرٌ بما يستحقّونه من الجزاء.

---

١ - سورة طه: الآية/ ١٢٩

وفي هذه الآية أربع قراءات متواترة، ولكل قراءة شواهد تطلب في مظانها، وكلها ترجع إلى هذا المعنى الذي ذكرناه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾. سورة هود: الآية/ ١١٢، ١١٣

يقولُ الله تعالى لنبيّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم: فاسْتَقِمْ يا محمدُ على توحيد الله، والدعوة إليه، كما أمَرَك ربُّك، ﴿وَمَنْ تابَ مَعَكَ﴾، يعني: المؤمنين الذين تابوا من الشرك وأسلموا لله تعالى معك فليستقيموا كذلك.

والاستقامة هي المداومة على التقوى، وقيل: هي التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط.

عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، قَالَ: «اسْتَقَامُوا وَاللَّهِ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ، وَلَمْ يَرُوغُوا رَوَغَانَ الثَّعَالِبِ».[١]

﴿وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

الطغيان: مجاوزة الحد؛ أي: ولا تتجاوزوا أمري، إنه لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولذلك قال: «شيبتني هود وأخواتها».

﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

الركون: هو الميل اليسير، والمراد به هنا ميل القلب ومحبته، والرضى بما يفعلونه من الظلم.

قال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم. وقال السدي: لا تداهنوا الظلمة. وقال عكرمة: لا تطيعوهم. وقال سفيان: لا تدنوا إلى الذين ظلموا.

والنهي عن الركون إليهم وهو ميلٌ يسير يستلزم النهي عن معونتهم من باب أولى.

وقال تعالى: ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، ولم يقل: (إلى الظالمين) للمبالغة في التحذير من الميل إلى مَنْ وُجِدَ منه الظلمُ ولو مرة واحدة، ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾؛ أي: فتصيبكم النار بحرها.

---

١ - رواه ابن المبارك في الزهد- بَابُ صَلَاحِ أَهْلِ الْبَيْتِ عِنْدَ اسْتِقَامَةِ الرَّجُلِ، حديث رقم: ٣٢٥، وسعيد ابن منصور في التفسير- حديث رقم: ١٨٩٢

﴿وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾.

أي: وليس لكم حينئذٍ من يتولى أمركم، ويدفع عنكم بأسه ويردُّ عنكم عذابه، ولن تجدوا نصيرًا ينصركم منه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ﴾. سورة هود: الآية/ ١١٤

اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾، فقيل: المراد الصلوات الخمس، قال مجاهد: طرفي النهار يعني صلاة الصبح والظهر والعصر وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ يعني صلاة المغرب والعشاء.

عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرْظَيّ: ﴿طَرَفَيِ النَّهارِ﴾: الفجرُ والظهرُ والعصرُ، ﴿وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾: المغربُ والعشاءُ.

وقال مقاتل: صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء.

وقال ابن عباس: طرفي النهار الغداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب.

وعن الحسنِ، قال: قد بيَّن اللهُ مواقيتَ الصلاةِ في القرآنِ، قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]. قال: دُلوكُها: إذا زالَت عن بطنِ السماءِ، وكان لها في الأرضِ فيءٌ. وقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾: الغداةُ والعصرُ، ﴿وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾: المغربُ والعشاءُ. قال: فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «هُمَا زُلْفَتَا اللَّيْلِ؛ المَغْرِبُ والعِشاءُ».[1]

وورد في لفظ: ﴿زُلَفاً﴾، قراءتان متواترتان قراءة أبي جعفر بضمّ الزاي وضمّ اللام، على أنه واحدٌ على وزن حُلُم، وقرأ الباقون: بضمّ الزاي وفتحِ اللامِ، على معنى جمعِ زُلْفةٍ، كما تُجمَعُ غرفةٌ على غُرَف.

١ – رواه ابن جرير في التفسير (١٢ /٦٠٩)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾.

أي: إن التقرب لله تعالى بفعل الطاعات، يكفر الله تعالى بها السيئات؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ».[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوِ الْمُؤْمِنُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ».[2]

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ﴾، قَالَ الرَّجُلُ: أَلِيَ هَذِهِ؟ قَالَ: لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي».[3]

﴿ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ﴾.

أي: ذلك عظة للمتعظين.

---

١ - رواه مسلم-كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابٌ: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ، حديث رقم: ٢٣٣

٢ - رواه مسلم- كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ خُرُوجِ الْخَطَايَا مَعَ مَاءِ الْوُضُوءِ، حديث رقم: ٢٤٤

٣ - رواه البخاري-كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ هُودٍ، بَاب: قَوْلِهِ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ﴾، حديث رقم: ٤٦٨٧، ومسلم-كتاب التوبة، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، حديث رقم: ٢٧٦٣

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) فَلَوْلا كانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الْأَرْضِ إِلَاّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ﴾. سورة هود: الآية/ ١١٥- ١١٧

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم واصبر يا محمد على تبليغ الرسالة وعلى أذى قومك فإنه من الإحسان، والله تعالى لا يضيع أجر المحسنين، ومناسبة الأمر بالصبر بعد الأمر بإقامة الصلاة لأن الصَّبْرَ وَالصَّلَاةَ مِن أَكبَرِ العَونِ عَلَى الثَّبَاتِ فِي الأَمرِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.[1]

﴿فَلَوْلا كانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الْأَرْضِ﴾.

أي: فهلا كان من القرون الماضية ذوو عقل وفضل وحكمة وتدبير وبقيةُ خيرٍ ينهون قومهم عن الكفر بالله تعالى وعن الفساد في الأرض، وسمي العقل والفضل بقية لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله، فصار هذا اللفظ مثلًا في الجودة يقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم.

ولولا تستعمل للتحضيض، والمراد من التحضيض النفي؛ أي: كان ينبغي أن يكون في القرون الماضية من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والفساد من أصحاب العقول، ولكن ما كان منهم من يفعل ذلك.

﴿إِلَاّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ﴾.

أي: قد وجد منهم من هذا الضَّربِ قليلٌ، ولم يكونوا كثيرًا، وهم الذين أنجاهم الله عند نزول عذاب الله تعالى، وفجاءة نقمته.

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

يقول الله تعالى: واتبع الذين ظلموا يعني الكفار اللَّذات والشهوات وآثروها على أمر الآخرة، وركنوا إلى الدُّنيا، وما أُعطوا فيها من النعيم، ﴿وَكانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي: وكانوا كافرين.

قال ابن عباس يريد: اتبعوا ما وسعت عليهم وأنعمت.

---

١ - سورة البقرة: الآية/ ٤٥

وقال مُجَاهِدٌ: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكانُوا مُجْرِمِينَ﴾، يَعْنِي فِي مَهْلِكِهِمْ وَتَجَبُّرِهِمْ وَتَرْكِهِمُ الْحَقَّ.

﴿وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ﴾.

أي: وما كان ربك مهلك القرى وهو ظالم لها وأهلها مصلحون مؤمنون، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، بل هو منزه عن الظلم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [هُودٍ: ١٠١]؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.[1]

١ - سورة فصلت: الآية/ ٤٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. سورة هود: الآية/ ١١٨، ١١٩

يقول الله تعالى: ولو شاء ربُّك يا محمدُ لجعَل الناسَ كلَّهم جماعةً واحدةً، على ملةٍ واحدةٍ، ودينٍ واحدٍ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.[1]

قال قتادةُ قولُه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. يقولُ: لجعَلهم مسلمين كلَّهم.

﴿وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾.

أي: ولا يزال الناس مختلفين في اعتقادهم فهذا مسلم وهذا يهودي وهذا نصراني وهذا مجوسي وهذا وثني، وفي مذاهبهم وأرائهم، وعقولهم.

﴿إِلَاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾.

أي: إلا من رحمهم الله تعالى من أهل الإيمان والاعتقاد الصحيح وهم المسلمون أتباع الرسل عليهم السلام.

﴿وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: خَلَقَهُمْ فَرِيقَيْنِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.[2]

قال الحسن: خلَق هؤلاء لجنتِه، وهؤلاء لنارِه، وخلَق هؤلاء لرحمتِه، وخلَق هؤلاء لعذابِه.

وقال الأعمشِ: ﴿وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾. قال: مؤمنٌ وكافرٌ.

وسُئِل مالكٌ عن قولِ اللهِ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾. قال: خلَقهم ليكونوا فريقين: فريقٌ في الجنةِ، وفريقٌ في السعيرِ.

وعن مجاهدٍ: ﴿وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾. قال: للرحمةِ.

---

١ – سورة يونس: الآية/ ٩٩

٢ – سورة هُودٍ: الآية/١٠٥

وعن قتادة: ﴿وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾. قال: للرحمةِ خلَقهم.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

ثم أخبر الله تعالى أنه قد سبق في قضائه وقدره، لعلمه التام وحكمته النافذة، أن ممن خلقه من يستحق الجنة، ومنهم من يستحق النار، وأنه تعالى سيملأ جهنم من الجن والإنس، وله الحجة البالغة والحكمة التامة، ولا يظلم أحدًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنَّا عامِلُونَ (١٢١) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. سورة هود: الآية/ ١١٥- ١١٧

أي: وكلَ القصص الذي نقصُّه عَلَيكَ مِن أَنباءِ الرُّسُلِ، نقصه عليك لنثبت به فؤادك، فلا تبتأس بما يقوله المشركون عنك فلك فيمن سلف من الرسل أسوة، ومعنى: نثبت فؤادك: نطمئن قلبك ونزيده يقينًا.

﴿وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: وجاءك في هذه السورة، قاله ابن عباس، وأبو موسى، ومجاهد، والحسن في قول عنه، وجماعة من السلف، أو في هذه الأنباء التي نقصها عليك الحقُّ وموعظة يتعظ بها المؤمنون وذكرى يعتبروا بها إذا تذكروا أحوال الأمم الماضية وما نزل بهم من العذاب.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنَّا عامِلُونَ﴾.

ثم قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿وَقُلْ﴾ يا محمدُ تهديدًا ووعيدًا ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: لا يُقِرُّونَ بوحدانيةِ اللهِ تعالى ولا يصدقونك لأنهم لا ينتفعون: ﴿اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ﴾؛ أي: اعملوا على تمكُّنِكم ما تستطيعون عمله، فإنا عامِلون ما نستطيع عمله من الأعمالِ التي أمَرنا اللهُ عز وجل بها.

﴿وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾.

أي: وانتظِروا ما وعَدكم الشيطانُ به، فإنا منتظِرون ما وعَدنا اللهُ من النصر والتمكين.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾.

أي: ولله تعالى علمُ الغيبِ الذي لا يشاركه فيه غيره، وهو ما غاب عن حسّ العباد، فلا يخفى عليه شيءٌ في السماوات والأرض مهما صغر جرمه، ومهما خفي عن الخلق، وإليه يرجع أمر الخلق جميعًا، فحكمه في الخلق نافذ لا راد لأمره ولا معقب لحكمه.

﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

أي فاعبده يا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا ترجو سواه ولا تخشى إلا إياه، فإنه حسبك ونعم الوكيل، وهو تعالى لا يخفى عليه حال العباد، ولا يغفل عن أعمالهم، بل يثيب الطائعين، ويعاقب العصاة المذنبين.

تم الكلام عن تفسير سورة هود، ولله الحمد والمنة.

تفسير سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنزلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ١، ٢

سورة يوسف مكية نزلت بعد سورة هود، بين عام الحزن وبيعة العقبة الأولى وموضوعها قصة واحدة وهي قصة يوسف عليه السلام وفي أثناء القصة يظهر جليًّا توحيد الله تعالى، في دعوة يوسف عليه السلام لمن كان معه في السجن، ودعوته لأهل مصر حين تولى أمر مصر؛ كما قال الله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ [غافر: ٣٤]، وقال تعالى في هذه السورة: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، فالسورة وإن كانت نزلت في قصة واحدة من أولها إلى آخرها إلا أنها تعالج قضية التوحيد، وفيها من صور العناية الإلهية ما يغمر قلبَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وقلوب أصحابه بالطمأنينة واليقين بنصر الله تعالى لأوليائه، فقد حفظ الله تعالى يوسف عليه السلام بحفظ في الجب صغيرًا، وحفظه الله تعالى من كيد امرأة العزيز شابًا يافعًا، وأحسن الله به إذ أخرجه من السجن، وجعله على خزائن الأرض، وبوأه أعلى المناصب، وجمع بينه وبين أبويه وإخوته من بعد أن نزغ الشيطان بينهم، ورفع الله على أهل زمانه قدره وأعلى مكانته، فكانت هذه السورةُ بشارةً للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، بالتمكين بعد الاستضعاف، والعز بعد الذل، والأمن بعد الخوف؛ وجاءت تلك البشارة صريحة في آخر السورة في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]، ثم بيانٌ للغاية التي من أجلها نزلت سورة يوسف خاصة، ومن أجلها ذكر القصص في القرآن؛ ﴿لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ مَا كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.[1]

١ - سورة يوسف: الآية/ ١١١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سبب نزول سورة يوسف:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ عز وجل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] الْآيَةُ. قَالَ: "نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]، تَلَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] الْآيَةُ، فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ حَدَّثْتَنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، الْآيَةُ كُلُّ ذَلِكَ يُؤْمَرُ بِالْقُرْآنِ.[١]

﴿الر﴾ تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

إشارة إلى آيات القرآن الكريم، والمبين أي: المظهر، فهو مبينٌ لدلائل التوحيد، ومبين لصفات الرب تبارك وتعالى، للحلال والحرام، والحدود والأحكام ومبين لما اختلف فيه أهل الكتاب قبلنا.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

أي: إنا أنزلنا القرآن عربيًّا لتعقلوا عن الله تعالى مراده، وذلك لأن اللغة العربية أوسع اللغات، وأبينها، وأفصحها، ولتتحقق المعجزة الكبرى الخالدة، فإن العرب أرباب الفصاحة، وأساطين البلاغة، فناسب أن ينزل القرآن بلغتهم التي بها يتخاطبون.

---

١ - رواه البزار- حديث رقم: ١١٥٣، وأبو يعلى- حديث رقم: ٧٤٠، وابن حبان- النوع الرابع والستون، إخباره صلى الله عليه وسلم عن الأشياء التي أنزل الله جل وعلا من أجلها آيات معلومة. ذِكْرُ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، حديث رقم: ٤٣١٩، والحاكم- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ يُوسُفَ، حديث رقم: ٣٣١٩،

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ (٣) إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ﴾.

سورة يوسف: الآية/ ٣، ٤

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: نحن نخبرُك ونبين لك خبرَ مَنْ تقدَّمك أحسنَ بيانٍ. والقصص هي الأخبار المتتبعة، والقاص هو الذي يتبع الآثار ويأتي بالخبر على وجهه، ومن دلائل كونه أحسن القصص، أنه صدق لا يداخله كذب، وحق لا يخالطه باطل.

﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾.

بإيحائنا إِلَيكَ هَذَا القُرآنَ، وإنزال هذه السورةَ.

﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

وقد كنتَ قبلَ نزول القرآن عليك، ﴿لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ أي: عن هذه القصة، لم تخطر ببالك، وهو تعليل لكونه موحًى، كنى بالغفلة عن عدم العلم، وفي الكلام دليل قاطع بنبوته؛ فإن ما عنده من العلم إنما مصدر الوحي الإلهي إليه؛ كما قال تعالى له: ﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلا الْإِيمانُ﴾.[1]

﴿إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ﴾.

أي: واذكر يا محمد صلى الله عليه وسلم إذ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يعقوبَ بنِ إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ﴾.

يا أبت فيها لغات بكسر التاء وفتحها والوقف عليها بهاء السكت، وكلها قراءات متواترة.

١ - سورة الشورى: الآية/ ٥٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً﴾؛ أي: رأيت أحد عشر نجمًا من نجوم السماء، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾؛ عبر عنها بكناية من يعقل؛ لأنه رآها تفعل فعل مَن يعقل؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾.[1]

١ - سورة النمل: الآية/ ١٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلى آلِ يَعْقُوبَ كَما أَتَمَّها عَلى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٥، ٦

الرؤيا مصدر رأي في المنام رؤيا على وزن فعلى كالسقيا والبشرى وألفه للتأنيث ولذلك لم يصرف، والرؤية تكون في اليقظة وفرق بينهما بحرفي التأنيث كما في القربة والقربى.

لما قص يوسف عليه السلام رؤياه على أبيه قال له أبوه يعقوب عليه السلام: يا بني لا تخبر إخوتك برؤياك فيحتالوا لك من المكائد ما يكون سببًا في إيصال الضرر إليك، وذلك لما علم من حسدهم وبغضهم له، والكيد من الخَلقِ الاحتيال، وأصله إخفاء عمل يضر من يراد كيده، والكيد من الله تعالى التدبير بالحق.

وعُدِّيَ الفعلُ (يَكِيدُ) باللام لأنه ضُمِّنَ معنى يحتال، أي: فيحتالوا لك بالكيد، ما ينالك منه الضرر، وأكدَّ الكيدُ بالمصدر للمبالغة؛ أي: فيكيدوا لك كيدًا عظيمًا.

﴿إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

أي: إن الشيطان بين العداوة، وسيحملهم على السعي في إهلاكه؛ لما عندهم من الحسد والبغض له.

وهذه الآية أصل في ألا تُقَص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها؛ لما أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «الرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا مُعَلَّقَةٌ بِرِجْلِ طَائِرٍ حَتَّى يُحَدِّثَ بِهَا صَاحِبُهَا، فَإِذَا حَدَّثَ بِهَا وَقَعَتْ، فَلَا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا عَالِمًا أَوْ نَاصِحًا أَوْ حَبِيبًا».[1]

قال القرطبي: وفيها ما يدل على جواز ترك إظهار النعمة عند من تخشى غائلته حسدا وكيدا.[2]

﴿وَكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ﴾.

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٦١٨٢، والطبراني- حديث رقم: ٤٦٣، بسند حسن

٢ - الجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٢٧)

أي: وكما رفع ربك منزلتك وأراك هَذِه الرُّؤْيَا فَكَذَلِك يصطفيك رَبك ويختارك من بين الخلق، والاجتباء: الاصطفاء والاختيار، ويعلمك علم التَّعْبِير وَمَا تؤول إِلَيْهِ الرُّؤْيَا، وَكَانَ يُوسُف أعلم النَّاس بالرؤيا وأعبرهم لَهَا.

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلى آلِ يَعْقُوبَ كَما أَتَمَّها عَلى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ﴾.

أي: ويتم نعمته عليك بالنبوة كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق وجعلهم أنبياء، وفيه تذكيرٌ بكونه من حَفَدة الأنبياء الكرام.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

أي: إن ربك عليم بمَن يستحقُّ الاجتباء، ﴿حَكِيمٌ﴾: في أقواله وأفعاله وأحكامه وتشريعاته.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبانا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ (٩) قَالَ قائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٧- ١٠

في الكلام حذف اختصار تقديره: لقد كان في خبر يوسف وقصة إخوته آياتٌ؛ أي: عِبَر وعجائب لمن سأل عنهم، فكل حال من أحواله آية.

وآيات جمع آية ومعناها هنا: عِبَرٌ وعجائب.

﴿إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبانا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

أي: إذ قال أخوة يوسف والله ليوسف وأخوه لأمه أحب إلى أبينا منا، ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعةٌ يتعصَّب بعضنا لبعضٍ، وكانوا عشرة، والعربُ تطلق هذا الاسم على العشرة إلى الأربعين.

﴿إِنَّ أَبانا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

أي: إن أبانا لفي خطأ بيّنٍ في محبته ليوسف وأخيه علينا، وإيثارِه اثنين على عشرةٍ مع استوائهم في كونهم أولادًا له، وإنما قصدوا أنه في ضلال في هذا الأمر الدنيوي، ولو قالوا ذلك في أمر الدين لكفروا، ولا شك أن وصفهم لأبيهم بالضلال خطأ عظيم منهم، وجهل مبين.

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ﴾.

قالوا وقد أجمعوا على التخلص منه اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يعني بعيدة عن العمران لذلك وردت نكرة، يصفو لكم وجه أبيكم ويخلص لك وتنفردوا بمحبته، فلا يلتفت إلى غيركم، وذِكرُ الوجه لتصوير إقباله عليهم، وضمن فعل: ﴿اطْرَحُوهُ﴾ معنى: أنزلوه ونصب لفظ: ﴿أَرْضاً﴾ على أنه مفعول ثان.

﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ﴾.

وتكونوا بعد التخلص منه قومًا صالحين، فأضمروا التوبة قبل الذنب، وهذا من كيد الشيطان بالعبد يقول له: افعل كذا ثم تب بعده، وفي هذا دليل على أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء لا أولًا ولا آخرًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾.

أي: قال أحدهم لا تقتلوا يوسف فإن القتل عظيمٌ والغرضُ يحصل بدونه، وكان هذا أحسنهم رأيًا.

﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ﴾.

الغيابة: ما غاب عن عين الناظر، والجب: البئر الذي لم يُطْوَ، وسمي جبًّا لأنَّه ليس فيه غيرُ جَبِّ الأرض؛ أي: قطعها، وغَيَابَتُه أسفلُه الذي يَغيب ما وقع فيه، وجمع بين الغيابة والجب ليكون الموضع مظلمًا فلا تراه أعين الناظرين.

﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾.

أي: يأخذه بعض المارة من المسافرين، فتستريحوا بذلك، ولا حاجة إلى قتله.

﴿إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾.

أي: إن كنتم عازمين على ما تقولون، ولعله أراد أن يثنيهم عن عزمهم بذلك.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالُوا يَا أَبانا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (١٢) قالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ (١٣) قالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخاسِرُونَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ١١- ١٤

لما عزم إخوة يوسف عليه السلام على إلقائه في البئر قالوا لأبيهم تحقيقًا لمأربهم وإمعانًا في إخفاء مكيدتهم: يا أبانا مالك تخافنا على يوسف ولا تأمننا عليه ونحن إخوته، ناصحون له أي: مشفقون عليه ونريد الخير له.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾.

أي: أرسله معنا غد إلى الصحراء يأكل ما يشتهي، ويلعب كما يشاء ونحن مع ذلك نتكفل بحفظه ورعايته.

﴿قالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ﴾.

فلما قالوا له ذلك اعتذر لهم بحزنه عليه إذا فارقه وكان يحب ملازمته، وخوفه عليه أن يأكله الذئب إذا غفل عنه إخوته بالرعي أو اللعب.

﴿قالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخاسِرُونَ﴾.

قالوا له: كيف يأكله الذئب ونحن جماعة ذوو عدد وأقوياء لا يقربه الذئب ونحن معه، ولو حدث ذلك لكنا عاجزين وكنا أهلا للخسران، والهلاك.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجاؤُ أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُونَ (١٦) قالُوا يَا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَلَوْ كُنَّا صادِقِينَ (١٧) وَجاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى مَا تَصِفُونَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ١٥- ١٨

في الكلام حذف إيجاز تقديره: فأرسله معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾، أي: وعزموا، قال الفراء: الإجماع: العزم على الشيء. ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]، على أن يجعلوه في غيابة الجب.

وجواب لما محذوف وتقدير الكلام: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ﴾، فعلوا به ما فعلوا من الأذى، وحذف جواب لما ليذهب العقل كل مذهب فيما فعله إخوة يوسف به من الأذى.

﴿وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

أي: وأوحى الله تعالى إلى يوسف عليه السلام أنه سينجيه من محنته، وأنه سينبئهم بما فعلوه به وهم لا يشعرون أن الله أوحى إليه.

﴿وَجاؤُ أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُونَ﴾.

قيل: جاءوا في ظلمة العشاء ليكونوا أجرأ على الاعتذار بالكذب، روي أن يعقوب سمع صياحهم وعويلهم فخرج وقال: ما لكم؟ هل أصاب الذئب من غنمكم شيئًا؟ قالوا: لا؛ وإنما الذئب أكل يوسف.

﴿قالُوا يَا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾.

أي: قالوا يا أبانا إنا ذهبنا يسابق بعضنا بعضًا على الأقدام، وتركنا يوسف عند متاعنا، فأكله الذئب لانفراده عنا وبعدنا عنه.

﴿وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَلَوْ كُنَّا صادِقِينَ﴾.

أي: وما أنت بمصدق لنا ولو كنا عندك من أهل الصدق ولاتّهمتنا به لشدة محبتك له.

﴿وَجاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾.

أي: وجاؤ على قميصه بدم مكذوب فيه، ووصف الدم بالمصدر وهو الكذب بمعنى المفعول كالخلق بمعنى المخلوق، أي بدم مكذوب على أنه دم يوسف عليه السلام، وليس هو دم يوسف، وإنما هو دم جدي، فهو دم حقًّا لكنه ليس الدم المزعوم.

قال ابن عباس: أخذوا جديًا فذبحوه، ثم غمسوا قميص يوسف في دمه، وأتوه به وليس فيه خرق، فقال: كذبتم، لو كان أكله الذئب لخرّق القميص.

﴿قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى مَا تَصِفُونَ﴾.

التسويل: تحسين الشيء وتزيينُه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله.

و (بل) إضراب عن تكذيب صريح تقديره: إن الذئب لم يأكله، بل سولت لكم أنفسكم المكر بيوسف عليه السلام، وقوّى تلك التهمة أنهم ادعوا هلاكه، بما خاف منه يعقوب عليه السلام، فكأنه لقنهم حجتهم.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه، والشكوى إلى الله لا تنافي الصبر الجميل؛ كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾.[1]

قال مجاهد: الصبر الجميل: الذي لا جزع فيه.

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى مَا تَصِفُونَ﴾.

أي: ولا أستعين على ما تصفونه من الكذب والزور إلا بالله تعالى.

١ - سورة يوسف: الآية/ ٨٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ فَأَدْلى دَلْوَهُ قالَ يَا بُشْرى هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ١٩-٢٠

السيارة: هم القوم المسافرون، سموا سيارة لأنهم يسيرون في الأرض، قيل: كانوا من مدين قاصدين إلى مصر.

﴿فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ فَأَدْلى دَلْوَهُ قالَ يَا بُشْرى هَذَا غُلامٌ﴾.

في الكلام حذف إيجاز تقديره: فأدلى الوارِدُ دلوه في الجب فتشبث يوسف عليه السلام بها، فأخرجه واستبشر به، وقال: ﴿قالَ يَا بُشْرى هَذَا غُلامٌ﴾؛ نادى البشرى كأنه قال تعالى: يَا بُشْرى هذا أوانك فتعالي، وقال لرفقته: يا بُشرَى لكم، هذا غلامٌ قد وجدْتُهُ.

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَعْمَلُونَ﴾.

الإسرارُ: الإخفاء؛ أي: أخفوه في متاعهم كالبضاعة حتى لا يعلم به أحدٌ خشية أن يُردَّ إلى أهله، والله عليم بما يعملونه من إسرارِه بضاعةً؛ ليقضي أمرًا كان مفعولًا.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾.

شرى: أي باع؛ أي: وباعوه بثمن قليلٍ ناقصٍ عن ثمنِ مثله، والبخس: النقص، وكان عبارة عن دراهم معدودة، والدراهم إذا كانت قليلة تعدُّ عدًّا، وإذا كانت كثيرة توزن ولا تعدُّ.

﴿وَكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾.

كأنهم خافوا أن يتهموا بسرقته، فأراد التخلص منه بأي ثمن ولو كان قليلًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقالَ الَّذِي اشْتَراهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْواهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ وَاللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٢١، ٢٢

يخبر الله تعالى عن السيارة حين قدموا به مصر أنهم باعوا يوسف عليه السلام بثمن لا يباع مثله بمثله، وأن الذي اشتراه رجل من أهل مصر، قال ابن عباس: وكان اسمه قِطفِيرَ. وقيل: غير ذلك، وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر، ولا فائدة في تعيين من أبهمه الله تعالى، لاسيما وتعيينه لا يُعرف إلا من جهة أهل الكتاب، وقد أخبرنا الله تعالى أنهم بدلوا وحرفوا.

قال الذي اشتراه لامرأته أكرمي مثواه، المثوى: المكان الذي يثوي إليه المرء، أي يرجع إليه، أي: اجعلي مكان إقامته حسنًا مرضيًّا، وإكرام مثواه كناية عن المبالغة في إكرامه.

﴿عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾.

أي: عسى أن ينفعنا بالقيام ببعض شئوننا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾، فيكون قرة عين لنا، ودل قوله على أنه لم يكن له ولد؛ وصدقت فراسة عزيز مصر في يوسف عليه السلام، فقد نفع الله تعالى به العباد والبلاد أعظم نفع؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: عَزِيزُ مِصْرَ حِينَ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ وَالْمَرْأَةُ الَّتِي قَالَتْ لِأَبِيهَا عَنْ مُوسَى: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [الْقَصَصِ: ٢٦]، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ حِينَ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رضي الله عنهما.[1]

﴿وَكَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ﴾.

أي: وكما قدرنا أن يكون الذي اشتراه عزيز مصر، وقدرنا له دخول السجن وعلمناه من تأول الرؤى ليتصل بالملك، ويكون ذلك سببًا رفعة مكانته عند الملك يتبوأ في أرض مصر أعلى المناصب.

١ – رواه الحاكم– كتاب التفسير، تفسير سورة يوسف، حديث رقم: ٣٣٢٠، وسعيد بن منصور– حديث رقم: ١١١٣، الطبراني في الكبير– حديث رقم: ٨٨٢٩،

﴿وَاللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

أي: والله غالبٌ على ما أراد من قضائه، لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه، فلا يغلبه على أمره غالب، ولا يُبطل إرادته منازعٌ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك لأنهم لم يقدروا الله حق قدره.

قال ابن عباس: على ما أراد من قضائه.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾.

أي: ولما بلغ منتهى شبابه وشدته وقوته.

واختلف العلماء في معنى: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾، فقال مجاهد: ثلاثًا وثلاثين سنة. وقال السدي: ثلاثين سنة. وقال الضحاك: عشرين سنة. وقال الكلبي: الأشد ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة.

وسئل مالك رحمه الله عن الأشد فقال: هو الحلم.

﴿آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾.

أي: آتيناه عقلًا وفقهًا، وقال الزجاج: جعلناه حكيمًا عالِمًا. وقيل: الحكم: النبوة، والعلم: الفقه في الدين. والفرق بين الحكيم والعالم: أن العالم هو الذي يعلم الأشياء، والحكيم: هو الذي يعلم بما يوجبه العلم.

﴿وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

أي: وكما أعطينا يوسف من الحكمة والعلم والفضل على إحسانه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين بلغوا الغاية في تحقيق العبودية والأخلاق.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَراوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٢٣

أصل المراودة الإرادة والطلب برفق ولين، وتكون بينَ اثنينِ، يراودُ أحدُهما الآخرَ على شيءٍ مع امتناعِ الآخرِ، فيجري في ذلك مدافعةٌ وممانعةٌ، مأخوذةٌ من الإرادة وهي المشيئة، ومنَ الرَّوْدِ وهو الطَّلب.

يخبر الله تعالى أن امرأة العزيز أرادت من يوسف عليه السلام ما تريد النساء من الرجال من الجماع، ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾. أي: مِن أجلِ نفسِه.

وقال تعالى: ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها﴾، ولم يقل: امرأة العزيز لبيان عظم الابتلاء على يوسف عليه السلام، فهي في بيتها، فهي في بيتها وهذا أدعى لجرأتها، وهو في بيتها تحت سلطانها.

﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ﴾.

أي: استوثقت من قفل الأبواب، والتَّشديد للمبالغة في الغلق، وإنَّما غلَّقتها لئلَّا يفجأها أحدٌ، ولئلَّا يتخلَّصَ يوسفُ عنها، وقيل: كانت سبعة أبواب.

﴿وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾.

(هَيْتَ) اسم فعل بمعنى تعالَ وهلمَّ إلى ما هو لكَ، قال الشاعر لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه:

أبلغْ أميرَ المؤمنيـ **** ـن أخا العِراقِ إذا أتيْتَا
أنَّ العِراقَ وأهلَهُ **** عُنُقٌ إليْكَ فهَيْتَ هَيْتَا

وقرئ: هَيْتَ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء، وهِيْتَ بكسر الهاء، وهَيْتُ، وهئت بمعنى تهيأت.

﴿قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

أي: قال يوسف عليه السلام: أعوذ بالله وأتحصن به فهو الذي رباني بصنوف النعم، وحفظني من المكاره، أسأله أن يعيذني أن أكون من الجاهلين الفاسقين، ويحتمل أن يكون المراد: أعوذ بالله أن أخون سيدي يعني: زوجَها بحكم الشِّراء ظاهرًا .﴿أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: أي: أكرمَ مقامي، فأكون ظالمًا ولا يفلح الظالمون.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٢٤

يذكر الله تعالى ما جرى بين امرأة العزيز ويوسف عليه السلام بعد أن غلقت الأبواب، وراودته عن نفسه، فذكر تعالى أنها قالت له: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾؛ أي: تهيأت لك، فاجتمع لها القول والفعل، ثم أخبر الله تعالى عما كان يجول في نفسها فقال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾؛ أي: حَدثتْ نفسها بمواقعتِه، وعزمَتْ على ذلك وعقدَتْ قلبَها عليه.

﴿وَهَمَّ بِها لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ﴾.

اختلف المفسرون في المراد من قوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِها لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ﴾، على أقول: منها أن المراد بهمه بها خطرات حديث النفس، وهو أمر لا يؤاخذ الله تعالى عليه واستدلوا بما ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يقول اللَّهُ تَعَالَى: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنَّ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي، فَإِنْ عَمَلِهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا».

فهي قد ﴿هَمَّتْ بِهِ﴾ همَّ عزمٍ، وهو ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ همَّ خَطْرةٍ، ولا منعَ فيما خطرَ في القلب؛ وهو قول الحسن.

وَقِيلَ: هَمَّ بضربها. وقيل: تمناها زوجة.

وقيل: ﴿وَهَمَّ بِها لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ﴾، أي: لم يهم بها، وهذا هو الصحيح الذي يليق بنبي الله يوسف عليه السلام.

قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله: ولقد همت به وهم بها الآية قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير، أي تقديم الجواب وتأخير الشرط، كأنه قال: ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها.

ويدل على صحة هذا القول بأن يوسف عليه السلام امتنع عنها قولًا وفعلًا، فلما دعته لنفسها: ﴿قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، وما أخبر تعالى عن امرأة العزيز أنها راودته عن نفسه دل ذلك على امتناعه عنها؛ فقد قال الراغب: المراودة أن تنازع غيرك في الإرادة فتريد غير ما يريد.

فإن قيل: فهلا نفى الله تعالى عنه الهم ابتداء؟ ويكون تقدير الكلام: (ولقد همت به ولم يهم بها)؟

والجواب: أن نفي الهم لاحتمال أن يكون عجزًا لكونه عنّينًا، وليس فيه مدحًا.

﴿لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ﴾.

لما كان يوسف عليه السلام من سلالة الأنبياء وأراد الله تعالى له الاصطفاء بالنبوة وعاين من الدلائل القطعية على تحريم الزنا من يجعله يهم بالفاحشة ابتداءً.

﴿كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ﴾.

جملة معترضة لبيان نزاهته عليه السلام؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، ومن مقتضيات صرف السوء عنه أنه تعالى عصمه من الهم.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

في لفظ: ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾، قراءتان متواترتان، الأولى بكسر اللام وهي قراءة: ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب، حيث أتى في القرآن معرفًا، ومعناها: الذين يخلصون الطاعة لله تعالى، والثانية بفتح اللام، وهي قراءة الباقين، ومعناها: الذين أخلصهم واختارهم الله تعالى.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَاّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٢٥- ٢٩

يخبر الله تعالى عن يوسف وامرأة العزيز أنها استبقا الباب، واستبقا أي: سابق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب، يوسف عليه السلام فرارًا منها لَمَّا رأى عزمها على الفاحشة، وامرأة العزيز لتمنعه من الخروج، ففتح يوسف عليه السلام الباب، وأدركته هي فشقت قميصه من ظهره، لشدة تعلقه به.

والقد: القطع، وأكثر ما يستعمل فيما كان طولًا.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾.

أي: ووجدا سيدها أي: زوجها عند الباب، وقال السدي: وجدا العزيز ورجلًا من قرابة امرأته عند الباب الذي استبقا إليه.

﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَاّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي: بادرت بدفع التهمة عن نفسها، والبغي على يوسف عليه السلام، وذكرت الجزاء كأن الذنب ثابت متقرر، وذكرت السجن شفقة عليه من القتل، ثم ذكرت العذاب الأليم، وهو أن يضرب ضربًا شديدًا موجعًا، خوفًا ألا يرضى زوجها بالسجن إذا غلب على ظنه صدقها.

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾.

لما قالت عنه ما قالت، انتصر يوسف عليه السلام بالحق، وتبرأ مما رمته به من الخيانة، فقال: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾، وأخبر أنه فرَّ منها وأنها اتبعته تجذبه إليها حتى قدت قميصه.

﴿وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وشهد شاهد من أهلها ولم ير قميص يوسف عليه السلام لكنه سمع أن قميصه قُدَّ وهما يتنازعان، هي تزعم أنه أرادها بسوء، وهو يزعم أنها راودته عن نفسه، فقال: ﴿إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، والظاهر أنه كان حكيمًا من أهلها، عرضوا عليه الأمر، وذكروا له قولها وقوله.

وأمَّا ما رواه الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَابْنُ مَاشِطَةَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ». فهو حديث ضعيف، وذكر شاهد يوسف، وابن ماشطة فرعون فيه زيادة منكرة، والحديث فيه من لا يعرف.

وأمر آخر أنه لو كان صبيًا تكلم لكان الدليل نفس كلامه، دون أن يحتاج إلى استدلال بالقميص، وكان كلامه خرقًا للعادة، ونوع معجزة.

وإنما ألقى الله الشهادة على لسانه وهو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف عليه السلام.

﴿فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

أي: فلما تحقق سيدها صدق يوسف، وتبين له كذبها فيما رمته به من البهتان، ﴿قالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾، أي: أي: إن زعمك من جنس ما تتصف به النساء من المكر والاحتيال للتوصل للمراد، ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، لأنهن ألطف كيداً، وأعظم حيلة وبذلك يغلبن الرجال.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾.

حذف حرف النداء لأنه قريب، تقريبًا له، ولطفًا لما رأى براءته، ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾، الأمر واكتمه ولا تحدث به.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

أي: توبي إلى الله من ذلك الذنب، ﴿إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾؛ أي: من المذنبين وقال من الخاطئين تغليبًا للتذكر؛ كما في قولِه تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التَّحْرِيم: ١٢]، وقيل: أراد من القوم الخاطئين؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.[١]

١ - سورة النَّمْلِ: الآية/ ٤٣

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُبًّا إِنَّا لَنَراها فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٣٠

يخبر الله تعالى أن تلك الحادثة التي وقعت في قصر العزيز انتشرت في الناس انتشار النار في الهشيم، حتى أصبحت حديث الناس في مجالسهم، مع حرص عزيز مصر ألا ينتشر الأمر، وأن يظل قيد الكتمان، لكن مثل هذه الأخبار تجد رواجًا بين الناس، حتى تكون فاكهة مجالسهم، لا سيما نساء الطبقة العالية في المجتمع.

واجتمع نسوة من تلك الطبقة العالية ولعلهن نساء القادة والمقربين من الملك ومن عزيز مصر فقلن: ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاها عَنْ نَفْسِهِ﴾، قلن ذلك إنكارًا عليها وذمًّا لها، أنها على شرفها، وارتفاع مكانتها في المجتمع، تراود فتاها عن نفسه، وإنما هو خادم لها.

﴿قَدْ شَغَفَها حُبًّا﴾.

أي: قد بلغ حب يوسف منها شغاف قلبها، وشغاف القلب حجابه وغلافه، كأن حبه هتك حجاب قلبها واستقره في سويدائه، فلم تستطع أن تكتمه.

قال السُّدِّيُّ رحمه الله: الشَّغاف جلدةٌ رقيقةٌ على القلب، يقول: دخله الحبُّ حتّى أصاب القلبَ.

وقال أبو عبيدة: الشَّغف: إحراقُ الحُبِّ للقلب مع لذة يجدها.

﴿إِنَّا لَنَراها فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

أي: إنا لنرى امرأةَ العزيزِ في مراودتِها فتاها عن نفسِه، وغلبةِ حبِّه عليها، واستيلائه عليها، حتى بلغ شغاف قلبها، نراها قد أخطأت خطأً بينًّا يعلم من تأمَّله أنه ضلالٌ وخطأٌ غيرُ صوابٍ ولا سدادٍ.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾.

أي: فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة، أرسلت إليهن، وهيأت لهن مجلسًا، فيه الوسائد اللائي يتكئن عليها، وأحضرت لهن من أصناف الطعام والشراب، ما تطمئن إليه نفوسهن.

واختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾.

فقيل: المراد: فلما سمعت بقولهن، قال الزجاج: قال الزجاج: وإنما سمي هذا القول مكرًا؛ لأنها كانت أطلعتهن على أمرها، واستكتمتهن، فمكرن وأفشين سرها.

وقيل: هو مكرٌ حقيقة، وإنما قلن ذلك مكرًا بها لتريَهنّ يوسف عليه السلام.

﴿وَآتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً﴾.

فعلت ذلك على عادة تلك الطبقة من المجتمع في طريقة أكل الفاكهة، وكان مقصودها افتضاحهن بتقطيع أيديهن، لشدة انشغالهن بالنظر إليه، وتعلق أبصارهن به، كما فضحنها، بإفشاء سرها.

﴿وَقالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾.

قال صاحب المنار: أي: أمرت يوسف بالخروج عليهن، وكان في حجرة أو مخدع في داخل حجرة الطعام التي كن فيها محجوبًا عنهن، ولو كان في مكان خارج عنها لقالت: ادخل عليهن، فعلم من هذا أنها تعمدت أن يفجأهن وهن مشغولات بما يُقطِعْنَه ويأكلْنَه، عالمة بما يكون لهذه الفجاءة من تأثير الدهشة.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

أي: فلما رأى النسوة يوسف عليه السلام أعظمنه ودهشن من جماله البارع، وحسنه الرائع، حتى ذهلن عما في أيديهن من الفاكهة، وقطعن أيديهن بدلا من تقطيع الفاكهة، بحركة لا إرادية لشدة استغراقهن في تأمل جماله، حتى قطَّعت كل واحدة منهن يدها وتركت فيها جروحًا وهي لا تشعر.

﴿وَقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

أي: وقلن تعجبًا من روعة جماله وتنزيها لله تعالى أن يكون خلق هذا الشخص العجيب في جماله وعفته من نوع البشر، ﴿إِنْ هَذَا إِلَاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، أي: ليس هذا إلا ملكٌ كريمٌ من الملائكة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَتْ فَذلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَاّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٣٢- ٣٣

لما رأَت امرأةُ العزيز أَنَّهنَّ افتُتِنَّ بيوسفَ عليه السلام حتى ذهلن عما في أيديهن، وقطعن أيديهن وجدَتْ موضعًا للعذر، وإنما فعلت ما فعلت لتقطع ألسنتهن عنها، و ﴿قالَتْ فَذلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾؛ أي: هذا الذي قطعتن أيديكن بسببه هو الذي حملكن على أن لُمْتُنَّنِي في هواه ومحبته.

﴿وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾.

أي: فامتنع طلبًا للعصمة، وسميت عصمة لأنها تمنع صاحبها، والاستعصام فيه مبالغة، وهو يدل على الامتناع البالغ والتحفظ الشديد، وهو أبلغ من اعتصم؛ فإن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

وإنما أقرت لهن حين لأنها أمنت الملامة منهن، لأنه أصابهن ما أصابها عند رؤيته.

﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

أي: ولئن لم يطاوعني فيما دعوته إليه ليُعاقبن بالسجن، ثم يكون من ذليلًا من جملة الأذلاء المهانين.

﴿قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

في الكلام حذف اختصار دل عليه السياق، تقديره: فقال النسوة ليوسف أطع مولاتك فيما دعتك إليه، فلما رأى إصرارها، ورأى دعاء النسوة إياه بالخضوع لمولاته سأل الله تعالى العصمة منهن ولو بالسجن.

﴿وَإِلَاّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾.

هذا تضرع ودعاء من يوسف عليه السلام يتضمن البراءة من الحول والقوة، ويظهر الافتقار لله تعالى، ومعناه: اصرف عني يا إلهي كيدهن، ولا تكلني إلى نفسي فلا عاصم لي سواك، فإن لم تصرف عني كيدهن، أصبو إليهن، أي: أمل إليهن، يقال: صبا يصبو صبوة إذا مال واشتاق إليه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

قوله: ﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فيه دليل على أن من ارتكب ذنبًا ففيه من الجهالة بقدر ما عنده من الذنب.

ودعاء يوسف عليه السلام كدعاء آدم وحواء عليهما السلام قَالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وفيه مع المسألة إظهار الافتقار لله تعالى.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ قالَ أَحَدُهُما إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٣٤- ٣٦

أي: فَاستَجابَ اللهُ تعالى دعاءَه وقال: (رَبُّهُ) لما له من دلالة التعهد بالرعاية والحفظ، ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾، فلم يناله منهن سوء.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

أي: إنه سميع لمن دعاه مجيب لمن اضطر إليه، عليم بحاله وما يصلحه.

﴿ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾.

أي: ثم ظهر للعزيز وأهل مشورته من بعد ما رأوا الدلائل القاطعات، والبراهين الساطعات على براءته، ومنها قدُّ القميص من دبرٍ، وشهادة الشاهد، وتقطيع النسوة أيديهن، ثم ظهر لهم رأي هو ليسجننَّه إلى مدة، سترًا عليها، ومنعًا للقيل والقال.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: فأَمضَوا رأيهم في سَجنه فأدخلوه السجن، ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ.....﴾، أي: دخل السجن في صحبة يوسف عليه السلام ساعة أدخل عبدان للملك، أحدهما صاحب شرابه، والآخر صاحب طعامه.

قال السدي: وكان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالأ على سمه في طعامه وشرابه.

﴿قالَ أَحَدُهُما إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾.

أي: قال صاحب الشراب: ﴿إِنِّي أَرانِي﴾، يعني: في المنام، ﴿أَعْصِرُ خَمْراً﴾، تسمية للعنب بما يؤول إليه.

﴿وَقالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾.

أي: قال صاحب الطعام: ﴿إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾.

﴿نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ﴾.

أي: قال له كل واحد منهما: أخبرني بتفسير ما رأيت، وما يؤول إليه أمره في الواقع إذا كان حقًا، وليس من أضغاث الأحلام.

﴿إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

لأنهم رأوا من يوسف عليه السلام الإحسان من أول لحظة خالطوه فيها، إحسان في العبادة، وإحسان في المعاملة وإحسان في الأخلاق، بل كان الإحسان أخص صفاته كما نرى في عدة مواطن من قصته.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلَاّ نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُما ذلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كانَ لَنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنا وَعَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٣٧، ٣٨

لما سألا يوسف عليه السلام عن تأويل رؤياهما، بدأ يوسف عليه السلام بما هو أنفع لهما من تأويل رؤياهما، وهذا ما يسميه العلماء بجواب الحكيم، فبدأ بدعوتهما إلى الإسلام، واستهل ذلك بذكر معجزة من المعجزات التي أيده الله تعالى بها، فقال: ﴿قالَ لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلَاّ نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُما﴾؛ أي: لا يأتيكم طعام ترزقانه إلا أخبرتكما بصفته، وقدره، وطعمه، ووقته، قبل أن يأتيكما، وهذا من الغيب الذي أطلعه الله تعالى عليه؛ كما قال عيسى عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[1]

﴿ذلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

كأنهما قالا كيف ذلك وهو أمر غيبي؟ فقال: ﴿ذلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ﴾.

المراد بالترك هنا الإعراض عنها، وتجنبها، وليس معنى ذلك أنه كان متبعًا لها ثم تركها؛ أي: تجنبت كل ملة للكفار الذين لا يرجون ثوابًا ولا يخافون عقابًا ولا يؤمنون بالبعث والنشور والجزاء والحساب.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كانَ لَنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

أي: وسلكت سبيل آبائي المرسلين، الذين دعوا الناس إلى توحيد الله الخالص، ونهوهم عن الشرك وعبادة الأوثان، وليس من شأننا معاشر الأنبياء أن نشرك بالله تعالى شيئًا، وقد بعثنا الله بالأمر بتوحيده، ونبذ الشرك به، وقوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾، معناه: أيّ شيء كان ولو كان شيئًا حقيرًا.

١ – سورة آل عمران: الآية/ ٤٩

﴿ذلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنا وَعَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾.

أي: ذلك التوحيد ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنا﴾، بالوحي والاختصاص بالنبوة، ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ بإرسالنا إليهم لهديَتهم ولنعلمَهم ونزكيَهم، من فضل الله تعالى ومنته على الناس جميعًا، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله تعالى على نعمِه، بل قابلوا تلك النعمة بتكذيب الرسل.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَاّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَاّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلَاّ تَعْبُدُوا إِلَاّ إِيَّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٣٩، ٤٠

قال يوسف عليه السلام للفتيين الذين دخلا معه السجن: يا صاحبي السجن، ولذلك لما كانا يشتركان معه فيه وهو المصاحبة في السجن، ﴿أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ﴾، الأربابُ جمع ربٍّ، وقوله: ﴿مُتَفَرِّقُونَ﴾، لأنهم كانوا يعتقدون أن من تلك الآلهة إله للخصب، وإله للجمال، وإله للفرح والسرور، وغير ذلك، أي: تلك الآلهة المتفرقة المختلفة في كل شيء خير أم الله الواحد الأحد القهار، الذي ذلت لعظمته الرقاب، وخضعت لجبروته الملوك والطغاة، فلا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه.

وقول يوسف عليه: ﴿أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ﴾، سؤال الغرض منه الإنكار على من على من عبدها من دون الله تعالى.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَاّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ﴾.

أي: لستم تعبدون من دون الله تعالى إلا أسماء خلعتم عليها صفة الألوهية، ولا تستحق ذلك بل هي مخلوقة مربوبة لله تعالى، ثم عبدتم تلك الأوثان من دون الله تعالى، فأنتم في الحقيقة لا تعبون إلا أسماء لا مسميات لها، سميتموها أنتم وآباؤكم.

﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ﴾.

ما جعل الله تعالى لكم في تسميتها آلهة حجة ولا برهان.

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَاّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلَاّ تَعْبُدُوا إِلَاّ إِيَّاهُ﴾.

(إنْ) نافية بمعنى: ما؛ أي: ما الحكم الحق في الربوبية والألوهية والتشريعات إلا لله وحده، هو الذي أمركم إلا تعبدوا إلا إياه، في كتبه المنزلة، وعلى ألسنة رسله عليهم السلام، وليس لتلك الآلهة المزعومة حكمًا فيما زعموا أنه من حكمها.

﴿ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.

أي: ذلك التوحيد هو الدين الحق المستقيم الذي لا عوج فيه، والذي لا يرتضي الله تعالى من العباد سواه.

﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

أي: لا يعلمون من شرعه الله تعالى لعباده، وما ابتدعه وأحدثه آباؤهم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ (٤١) وَقالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٤١، ٤٢

لما دعاهما يوسف عليه السلام إلى توحيد الله تعالى، وحذرهما من الشرك بالله تعالى، بين لهما تأويل رؤياهما، فقال للأول وهو صاحب شراب الملك: ﴿أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾، أي: يسقي سيده خمرًا كما كان يسقيه من قبل ويعود إلى ما كان عليه.

﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾.

أي: وأما صاحب الطعام فيصلب فتأكل الطير من رأسه، وإنما قال: ﴿أَمَّا أَحَدُكُما﴾، ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾، ولم يعين الناجي منهما لئلا يحزن الآخر، وهذا من إحسانه عليه السلام.

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ﴾.

أي: هذا هو تعبير ما رأيتما، والاستفتاء: مصدر استفتى إذا طلب الإفتاء، وهو: الإخبار بإزالة مشكل، أو إرشاد إلى إزالة حيرة، وهذا هو الذي كانا يهتمان لأجله ويسألا عنه.

وقيل: المراد فُرِغَ من الْأَمر الذي تستفتيان فيه من أمركما من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر.

وعَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ الْأَرْضَ أَعْشَبَتْ، ثُمَّ أَجْدَبَتْ، ثُمَّ أَعْشَبَتْ، ثُمَّ أَجْدَبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ: «أَنْتَ رَجُلٌ تُؤْمِنُ ثُمَّ تَكْفُرُ، ثُمَّ تُؤْمِنُ ثُمَّ تَكْفُرُ، ثُمَّ تَمُوتُ كَافِرًا»، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَمْ أَرَ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ﴾ [يوسف: ٤١]، «قَدْ قُضِيَ لَكَ مَا قُضِيَ لِصَاحِبِ يُوسُفَ». رواه معمر في جامعه، وعبد الرزاق في مصنفه.

قال القرطبي: ليست لأحد بعد عمر؛ لأن عمر كان مُحَدَّثًا، وكان إذا ظن ظنا كان وإذا تكلم به وقع.

﴿وَقالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

أي: وقال يوسف عليه السلام للذي ظن أنه ناج منهما خفية: اذكرني عند ربك أي: سيدك، قال له ذلك خفية لئلا يحزن صاحبه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

أي: أنسى الشيطانُ السَّاقِيَ أن يذكرَ يوسفَ لسيده، فلبث يوسف في السجن بضع سنين، وقول يوسف عليه السلام: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، لا يقدح في كمال توكله على الله تعالى، بل هو من الأخذ بالأسباب؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ».[1]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ يُوسُفَ، باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَى لِلهِ﴾، حديث رقم: ٤٦٩٤، ومسلم-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ زِيَادَةِ طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ بِتَظَاهُرِ الْأَدِلَّةِ، حديث رقم: ١٥١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ (٤٣) قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِينَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٤٣، ٤٤

يخبر الله تعالى أن ملك مصر – وسماه القرآن هنا ملكًا ولم يسمه فرعون؛ لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط، وإنما كان ملكًا لمصر أيام حكم (الهكسوس) ويعرفون بملوك الرعاة – قال هذا الملك لجلسائه يومًا: ﴿إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ﴾، أي: إني أري في المنام، ولم يذكر أنها رؤيا في المنام، لمعرفتهم ذلك، ولما كانت الرؤيا عجيبة، وهاله أمرها قصها على جلسائه لعله أن يجد فيهم من يؤولها له، وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان، ورأى سبع بقرات عجاف، والعجاف جمع عجفاء وهي الهزيلة الضعيفة، ورأى أن البقرات السبع على هزالهن يأكلن البقرات السمان.

ورأى سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات أخر يابسات، فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها.

﴿يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيايَ﴾.

﴿يا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾، خطاب للأشراف من قومه، وهم الذين يملؤون عين من ينظر إليهم، أي: قصَّ على جلسائه، وكبراء قومه ما رأى وسألهم عن تأويل رؤياه، فلم يعرفوا تأويلها.

﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ﴾.

الأصل أن ﴿تَعْبُرُونَ﴾، لا يتعدى باللام، وإنما تعدى باللام هنا لتضمنه معنى: تُنْتَدَبُون، والتقدير: إن كنتم تُنْتَدَبُون لعبارة الرؤيا، وأصل العبارة مشتقة من عبور النهر، فمعنى عبرت النهر: بلغت شاطئه، وكذلك التأويل لأن عابر الرؤيا يخبر بما يؤول إليه أمرها.

﴿قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِينَ﴾.

أي: قالوا هذه أضغاثُ أحلام، وأضغاث جمع ضغثٍ وهو ما جُعل من أخلاط النبات في رباط واحد، شُبِّه بها ما تَجمعه المتخيّلة من أحاديث النفس ووساوس الشيطان، فاستُعير للرؤيا الكاذبة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والأحلام جمع حُلُم بالضم، وهو رؤيا كاذبةٌ لا حقيقةَ لها، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «الرُّؤْيَا مِنَ اللهِ، وَالحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ».[1]

١ – رواه البخاري–كتَابُ التَّعْبِيرِ، بَابٌ: الْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِذَا حَلَمَ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ عز وجل، حديث رقم: ٧٠٠٥، ومسلم–كِتَابُ الرُّؤْيَا، حديث رقم: ٢٢٦١، عن أبي قتادة رضي الله عنه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنا فِي سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٤٥، ٤٦

يقولُ الله تعالى: وقال الذي نجا مِن القتلِ من صاحبَيِ السجنِ الذين كانا معه، ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، أي: وتذكر يوسف عليه السلام بعد مدة من الزمان طويلةٍ.

وقرئ في الشاذ: (وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ) بفتح الهمزة وتخفيف الميم وهاء، أي بعد نسيان، قال الشاعر:

أمهت وكنت لا أنسى حديثًا **** كذاك الدهر يودي بالعقول

وأصل (ادَّكَرَ) اذتكر افتعال من الذكر أبدلت تاؤه دالا مهملة لقرب مخرجهما، وأدغمت فيها الذال المعجمة، فصارت ادَّكَرَ وهو الفصيح.

﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾.

أي: أنا أخبركم بتفسيره، عمن يعلم ما يؤول إليه حقيقة، فابعثوني إليه، خاطب الملك بلفظ التعظيم، أو خاطب الملك وأهل مجلسه.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره فأرسلوه فأتاه فقال له: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ.....﴾.

وصفه بالصديق على سبيل المبالغة في الصدق لما رأى من حاله في السجن، إذ لا يقال لأحد: (صِدِّيقٌ) إلا إذا جُرِّبَ وشُوهِدَ منه الصدقُ مرةً بعد مرةٍ؛ كما رأى هو وصاحبه إحسانه عند دخوله السجن، وسأله عن رؤيا الملك.

﴿أَفْتِنا فِي سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ﴾.

الإفتاء: جواب السائل عما يشكل عليه، ومنه المفتي؛ لأنه يزيل إشكال المسائل ويوضح الأحكام.

﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

لفظ: (النَّاسِ) هنا عام أريد به الخصوص، والمرد الملك وجلساؤه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تعبير الرؤيا، أو ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ مكانك من الفضل والعلم فتخرج.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَاّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَاّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٤٧- ٤٩

هذا خبر ومعناه الأمر، كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وإنما يأتي الخبر بمعنى الأمر، للمبالغة في الاهتمام به.

أي: قال له يوسف عليه السلام تعبيرًا لرؤيا الملك: تزرعون سبعَ سنينَ زراعةً متواليةً في هذه السِّنين بجدٍّ واجتهادٍ على عادتِكم في الزَّراعة، ويطلق الدَّأْبُ ويراد به العادةُ؛ كما قي قول امرئ القيس:

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِث قَبْلَهَا ***** وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

أي: كعادتك.

ويطلق الدَّأَبُ ويراد به: الجِدُّ والتَّعبُ يقال: دأب الرجل في عمله، إذا جد. وأدأبته أي: أتعبته؛ ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحب الجمل: «إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ».[1]

﴿فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَاّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

أي: فما قطعْتُم مِنَ الزَّرع ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾؛ أي: فاتركوه في السنابل، ولا تَدْرُسوه ولا تُذَرُّوه؛ لأنَّه أبقى له، وأبعد عن الآفات، ﴿إِلَاّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾، أي: إلا شيئًا قليلًا تأكلونه منه، في العام فلا بد لكم من دراسته، وتذريته، وفيه إرشاد لهم إلى التقليل من الأكل، واقتصر على المأكول دون البذر لكونه معلومًا.

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٧٤٥، وأبو داود-كِتَاب الْجِهَادِ، بَابُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الدَّوَابِّ وَالْبَهَائِمِ، حديث رقم: ٢٥٤٩، بسند صحيح

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَاّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾.

أي: ثم يأتي من بعد تلك السنين السبع من سني الخصب، ﴿سَبْعٌ شِدادٌ﴾، أي: صعاب على الناس لشدة الجدب، ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَاّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾، أي: يفنين من قدمتم من زراعته في سنوات الخصب، لأجل تلك السنوات المجدبات، إلا قليلا مما تحرزونه من بذور الزراعة.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

أي: ثم يأتي من بعد تلك السنين المجدبة ﴿عَامٌ﴾ لم يعبّر عنه بالسنة تنبيهًا عَلى اختلاف الحالِ، فإنَّ السنة تذكر في الشدة والجدب والقحط، ﴿فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ﴾ أي: بالمطر من الغيث، يقال: غِيثت البلادُ إذا مُطرت في وقت الحاجة، أو من الغوث يقال: أغاثنا الله تعالى أي أمدنا برفع المكاره حين أظلّتنا.

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

أي: ويجعل الله تعالى لهم في هذا العام ما مِنْ شأنِه أن يُعصر من العنب والقصَب والزيتون والسمسم ونحوِها من الفواكه لكثرتها.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٥٠

في الكلام حذف اختصار تقديره: فلَمَّا رجَع الرسولُ إلى الملكُ وأخبره بتأويل الرؤيا فقال الملك: ائتوني به؛ أي: أحضِروه إليَّ. فأبَى يوسُفُ عليه السلام الخروجَ معه، وقال للرسول: ﴿ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.

أي: ارجع إلى سيدك الملك فسأله أن يسأل ما شأنُ النسوة اللَّاتِي قطعن أيديهن ليعلم براءتي ممَّا قُذفت به، وذكر النِّسْوَةَ جملة ولم يخص امرأة العزيز بالذكر لتدخل فيهن امرأة العزيز، وذلك حسن عشرة وأدب، وذكرهن لأنهن كُنَّ قد عرفن براءته بإقرار امرأة العزيز بقولها: ﴿وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]، فأحبَّ يوسف عليه السلام أن تظهر براءته، ويعلم الملك أنَّه حبس ظلمًا، وهذا أعلى ما يتصور من الصبر ورباطة الجأش في هذا الموطن، ولو وقع هذا لغيره لبادر بالخروج، ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾، أي: إن خالقي مطلع عليهن، عليم بحيلهن ومكرهن.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، ثُمَّ أَتَانِي الدَّاعِي لَأَجَبْتُهُ».[١]

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ.....»؛ فذلك من حسن تواضعه صلى الله عليه وسلم مع أنبياء الله عليهم السلام، والتواضع لا يحط مرتبة الكبير، بل يزيده رفعة وجلالا، وفيه من حسن الثناء على يوسف عليه السلام بما كان عليه من شدة الصبر، وكمال اليقين، ورباطة الجأش، والرضى والتسليم لأمر الله تعالى، ولا يلزم من ذلك أن يكون أكمل من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال ابن عباسٍ: لو خرَج يوسُفُ يومَئِذٍ قبلَ أن يَعْلَمَ الملكُ بشأنِه، ما زالت في نفسِ العزيزِ منه حاجةٌ، يقولُ: هذا الذي راوَد امرأتَه.

١ – تقدم تخريجه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخائِنِينَ﴾. سورة يوسف: الآية/ ٥٠- ٥٢

الخطب: الشأن العظيم الذي يقع فيه التخاطب والبحث لغرابته أو إنكاره، أي: قال الملك لهن ما شأنكن حين راودتن يوسف عن نفسه؟ هل وجدتن منه ميلاً إليكن؟ ودل على هذا قولهن بعده: ﴿حاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾، وإقرارهن دليل على وقوع المراودة منهن.

﴿قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾.

أي: معاذ الله تعجُّبًا من عفته ونزاهته عن الوقوع في شيء من الريبة، ثم بالَغْنَ في نفي جنس المكروه عنه فقلن: ﴿مَا عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾، وإنما قلن: ﴿عَلَيْهِ﴾؛ لأن مرادهن نفيُ ما يسوءُه لا ما يسوءُ الغير.

﴿قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

قالت امرأة العزيز الآن ظهر الحق وتبين، أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ بعد ما قد شغفني حبه، وإنه لمن الصادقين في قوله حين قال: هي راودتني عن نفسي.

﴿ذلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخائِنِينَ﴾.

أي: قالت امرأة العزيز إنما قلت ما قلت من الإقرار بالذنب إنما قلته إحقاقًا للحق، وإظهارًا لبراءة يوسف، ليعلم يوسف أني لم أخنه حال غيبته عني، ولم أكذب عليه، ولم انسبه لفاحشة لم يفعلها، وإن كنت في حال شهوده راودته عن نفسه.

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذا من كلام يوسف عليه السلام وذكروا آثارًا لا تصح ولا تليق بعصمة الأنبياء عليهم السلام، بل منهم من لم يذكر إلا هذا القول، وهو قول في غاية الفساد ولا دليل عليه، بل القرآن يدل على فساد هذا القول الذي قالوه ومن ذلك قوله: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾، ولو كان منه الإرادة والمراودة ما كان له أن يبرئ نفسه، ومن ذلك قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، ولو كان منه ما ذكروه من حل السراويل، وقعوده بين رجليها لكان قد خانه بالغيب، ومن ذلك قول امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾، ولو وقع منه ما ذكروا ما قالت: ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾، ومن ذلك قول

النسوة: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾، ولو وقع منه ما ذكروا ما قلن ذلك. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾، ولو وقع منه ما ذكروا لم يكن السوء مصروفًا عنه.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.

أي: والله لا يسدد كيد الخائن ولا يتمه، بل يبطله ويفضح صاحبه، ويهتك ستره.

الفهرس

م	المحتويات	الصفحة
١	المقدمة.	٣
٢	تفسير سورة هود.	٤
٣	﴿الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.	٤
٤	﴿أَلَاّ تَعْبُدُوا إِلَاّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾.	٩
٥	﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.	١١
٦	﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَاّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها﴾.	١٣
٧	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾.	١٤
٨	﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ.....﴾.	١٧
٩	﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ﴾.	١٨
١٠	﴿فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحى إِلَيْكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.	٢٠
١١	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾.	٢٢
١٢	﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها﴾	٢٤
١٣	﴿أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى﴾.	٢٦
١٤	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ﴾.	٢٧
١٥	﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَها عِوَجاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ﴾.	٢٩
١٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَأَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ﴾.	٣٢
١٧	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَاّ اللَّهَ﴾.	٣٤
١٨	﴿فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَراكَ إِلَاّ بَشَراً مِثْلَنا﴾.	٣٦
١٩	﴿قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾.	٣٧

٢٠	﴿وَيا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.	٣٨
٢١	﴿قالُوا يَا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.	٣٩
٢٢	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾.	٤١
٢٣	﴿وَأُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَاّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ﴾.	٤٢
٢٤	﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾.	٤٣
٢٥	﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾.	٤٤
٢٦	﴿وَقالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.	٤٦
٢٧	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْماءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾.	٤٨
٢٨	﴿وَنادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾	٥٠
٢٩	﴿قالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾.	٥٢
٣٠	﴿وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ﴾.	٥٤
٣١	﴿قالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ وَما نَحْنُ بِتارِكِي آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِكَ وَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	٥٦
٣٢	﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَاّ هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها﴾.	٥٨
٣٣	﴿وَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ﴾.	٥٩
٣٤	﴿وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ﴾.	٦١
٣٥	﴿وَإِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ﴾.	٦٢
٣٦	﴿قالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾.	٦٤
٣٧	﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ﴾.	٦٧
٣٨	﴿وَلَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ﴾.	٦٩
٣٩	﴿وَامْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ﴾.	٧١
٤٠	﴿قالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾.	٧٣
٤١	﴿وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.	٧٥
٤٢	﴿قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.	٧٧

٤٣	﴿قالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾.	٧٨
٤٤	﴿فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾.	٨٠
٤٥	﴿وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ﴾.	٨١
٤٦	﴿وَيا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ﴾	٨٢
٤٧	﴿قالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً﴾.	٨٥
٤٨	﴿وَيا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾.	٨٦
٤٩	﴿قالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ﴾	٨٧
٥٠	﴿وَيا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ﴾.	٨٩
٥١	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَسُلْطانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِ﴾.	٩٠
٥٢	﴿ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْقُرى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْها قائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾.	٩٢
٥٣	﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَاّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.	٩٤
٥٤	﴿خالِدِينَ فِيها مَا دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلَاّ مَا شاءَ رَبُّكَ﴾.	٩٦
٥٥	﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾.	٩٨
٥٦	﴿فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.	١٠٠
٥٧	﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ﴾	١٠٢
٥٨	﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) فَلَوْلا كانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الْأَرْضِ إِلَاّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ﴾.	١٠٤
٥٩	﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾.	١٠٦
٦٠	﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ﴾.	١٠٨
٦١	تفسير سورة يوسف.	١١٠
٦٢	﴿الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنزلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.	١١٠

٦٣	سبب نزول سورة يوسف:	١١١
٦٤	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ﴾	١١٢
٦٥	﴿قالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً﴾.	١١٤
٦٦	﴿لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾.	١١٦
٦٧	﴿قالُوا يَا أَبانا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ﴾.	١١٨
٦٨	﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.	١١٩
٦٩	﴿وَجاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ فَأَدْلى دَلْوَهُ قالَ يَا بُشْرى هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضاعَةً﴾	١٢١
٧٠	﴿وَقالَ الَّذِي اشْتَراهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْواهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدا﴾.	١٢٢
٧١	﴿وَراوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾.	١٢٤
٧٢	﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.	١٢٥
٧٣	﴿وَاسْتَبَقَا الْبابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيا سَيِّدَها لَدَى الْبابِ قالَتْ مَا جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.	١٢٧
٧٤	﴿وَقالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُبًّا إِنَّا لَنَراها فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.	١٣٠
٧٥	﴿قالَتْ فَذلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾.	١٣٢
٧٦	﴿فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.	١٣٤
٧٧	﴿قالَ لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُما﴾.	١٣٦
٧٨	﴿يَا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ﴾.	١٣٨

٧٩	﴿يَا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ﴾.	١٤٠
٨٠	﴿وَقالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ﴾.	١٤٢
٨١	﴿وَقالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾.	١٤٤
٨٢	﴿قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾.	١٤٦
٨٣	﴿وَقالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بالُ النِّسْوَةِ اللاّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.	١٤٨
٨٤	﴿قالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾.	١٤٩
٨٥	الفهرس.	١٥١